أعلام الثقافة التونسية 27

يوسف رزوقة

بهلوان العبارة

الجمهورية التونسية
وزارة الشؤون الثقافية
المؤسسة الوطنية لتنمية المهرجانات
والتظاهرات الثقافية والفنية
منتدى الفكر التنويري التونسي

عنوان الكتاب **يوسف رزوقة** بهلوان العبارة

المؤلفون
* **محمد المي**
* **آمال مختار**
* **البشير المشرقي**
* **سوف عبيد**
* **هيام الفرشيشي**
* **خالد الماجري**
* **حاتم النقاطي**
* **شمس الدين العوني**
* **حبيب مبروك**

السلسلة أعلام الثقافة التونسية ـ عدد 27

ر.د.م.ك 978-9938-9601-9-8

عدد الصفحات: 128

إشراف وإعداد محمد المي
منتدى الفكر التنويري التونسي

الطبعة الأولى : 2023

الناشر **المؤسسة الوطنية لتنمية المهرجانات والتظاهرات الثقافية والفنية**

يوسف روزقة

بهلوان اللغة

يعتبر الشاعر الكبير يوسف رزوقة حالة أدبية استثنائية في تاريخ الثقافة التونسية، إذ لمع اسمه وهو لم يتجاوز العقدين من عمره، وتلبّس بالشعر منذ ظهوره في المشهد الثقافي، فرغم وظيفته (الصحافة) فإنّ هذه المهنة لم تفسد شعره بل زادته إشعاعا وحضورا .

لقد أخذ يوسف رزوقة بيد العديد من الأدباء والكتّاب وساعدهم على نشر إنتاجهم الثقافي مشجعا جميع الأصوات التي يختلف معها أو التي تختلف معه .

ليوسف رزوقة قدرة فائقة على تطويع اللغة لقول ما يريد وان أعوزته العبارة فانه لا يتهيّب القواميس بل ينحت عبارات حتى يظنّها البعض من اللغة ؟

وما زاد في شعريّة نصوصه هو المحن التي أصابته فلم يعد نصّه الشعري مجرد لهو بالكلمات أو تطويعا لها بل أصبح كلاما مضخما بالأسى مثخنا بالجراح، حمّالا لهموم قاصمة ومترعا بما تنوء الجبال عن حمله.

بتكريمنا يوسف رزوقة في هذه الندوة نطمح أن نقول له إن الأدب الذي وهبته عمرك يبادلك حبّا بحب ويقرّ جهودك التي

بذلت . فشكرا سي يوسف على كلّ ما قدّمت للكتابة وللكتّاب عموما وللشعر خصوصا .

أيها الشاعر الحق لك من قلوبنا ألف تحية وتحية .

محمد الميّ

منتدى الفكر التنويري التونسي

يوسف رزوقة روح تتأرجح بين الحياة والموت

آمال مختار

قد تعيش مع شخص ليلا نهارا ورغم ذلك يظل غريبا عنك، في الوقت الذي تعتقد فيه أنت جازما أنّك تعرفه مثلما تعرف كفّ يدك إلى أن يحين الموقف المحك الذي ستكتشف فيه أنّك كنت تعيش مع غريب لم تعرفه قطّ.

لن نقول أنّ العكس صحيح ولكنّنا نقول أنّه يحدث أن ترافق شخصا في سفرة ما أو خلال مواقف حاسمة في العمل أو في حياته الشخصيّة فتكتشف خبايا هذه الشخصية وتشعر بالقرب منها حتى لو كانت اللقاءات بينكما قليلة أو حتى نادرة.

كذلك هي غرابة النفس البشريّة المعقّدة والمنطوية على أسرار وأسرار لن تنكشف البتّة ومهما بحث العلماء في هذا العلم الذي سيظل مراوغا وعصيا.

انطلقت من هذه المقدّمة لأتحدّث عن عن الإنسان في شخصية يوسف رزوقة قبل أن أتطرّق للزميل الصحفي والشاعر والمبدع الفنان عموما.

جمعتني بيوسف رزوقة علاقة عمل وزمالة مديدة كأغلب الزّملاء في المجال الصحفي إلاّ أنّ بعض المواقف القليلة والخاصّة هي التي جعلتني أكتشف الرّوح الإنسانية الصادقة التي تتخفى في أعماق يوسف وراء أقنعة عديدة هي بمثابة أدوات عمل ضرورية للأغلبيّة من الصحفيين.

ومن أشهر الأقنعة التي عُرف بها يوسف حتى باتت طبعه هي الطيبة والمجاملة والبشاشة والابتسامة التي لا تكاد تفارق وجهه مهما كان حجم المعاناة التي يكتمها بين جنباته.

كنت صحفية مبتدئة في النصف الثاني من ثمانينات القرن الماضي وكان يوسف رزوقة اسما معروفا في المشهد الثقافي التونسي كشاعر متميز بقاموسه اللغوي الخاص وببعض المجاميع الشعرية أوّلها كان بعنوان لافت : «أمتاز عليك بأحزاني» و«برنامج الوردة» وغيرها من الدواوين ثمّ جرّب في النثر برواية : « الارخبيل»، كما كان مشرفا على مجلة «شعر» لمدة خمس سنوات من (1982 حتى 1987).

في هذه الفترة اتصلت به وطلبت موعدا لإجراء لقاءا صحفيا لجريدة «الصدى» التي كنت أتعامل معها.

حضر الشاعر إلى الموعد وكان في مقهى فندق « الانترناسيونال» وأحضر معه وردة حمراء.

تسلّمت الوردة مستغربة الأمر الذي يحدث معي لأوّل مرّة بالرّغم من أنّني أجريت لقاءات صحفيّة مع شخصيات أخرى قبل ذلك.

أتممت طرح أسئلتي حول تجربته الشعرية الحداثية ووو وفي آخ راللقاء قلت له : «سأطرح عليك سؤالا، ستردّ بصدق وسأنشر ذلك.»

رحّب بذلك ضاحكا مثل طفل وقلت : «لماذا أهديتني وردة حمراء ؟»

فوجئ بسؤالي بل أكاد أقول صُدم، احمرّ وجهه خجلا، بدا لي كأنّما ندم على هديته، ربّما فاجأته جرأة سؤالي.

غير أنّه سرعان ما استجمع نفسه المرتبكة وأجابني بذكاء شديد أفلته من ورطة التودد إليّ أثناء العمل وقال : «إنّما فعلت ذلك في إطار الإشهار لمجموعتي الشعرية « برنامج الوردة».

مرّ ذلك الموقف في إطار طريف ونُشر اللّقاء الصّحفي كما هو وأحدث طرافة ما عند المتلقين.

أمّا بيني وبين نفسي فقد أدركت سريعا طينة الرجل الإنسانية التي تقول أنّه خجول ومهذب ومحترم وذكي.

كان هذا الموقف التلقائي واللّطيف بمثابة أوّل حجر وُضع في تاريخ صداقتنا التي استمرت مع الأيام عتيّة لم تزعزعها مشاكل العمل كزملاء في جريدة «الحرية» ثمّ كرئيس مشرف على القسم الثقافي في جريدة «الصحافة» حيث حطّ بي الرّحال بعد جولة في الصحف التونسية.

كان يوسف يأتي باكرا إلى مقرّ الجريدة وكانت بالنسبة لي خلال تلك السنوات الموافقة لأواخر التسعينات وأول

الألفينات هي الفترة الوحيدة التي أجيء فيها مبكرة بحكم أني آخذ ابني إلى الحضانة ثمّ إلى المدرسة.

حينئذ كانت تتاح لنا فرصة الحديث على انفراد قبل قدوم الزملاء. كان يتخلى عن ذلك القناع من اللطافة والبشاشة الذي يضعه على وجهه حماية لروحه الشفيفة وتفاديا من أذى الأشرار.

كنّا نتحدث عن مبالغته في التسامح مع الصحفيين في القسم الثقافي إلى درجة أنّه يكتب هو المقالات بنفسه، كان يغض الطرف عن الحضور والغياب ولا يطلب سوى توفير المادة الصحفية فحسب. كانت فلسفته أن ألاّ يتعطّل العمل أمّا الباقي فهو عابر ولا شيء يستحق فعلا أن نتشنّج لأجله.

كان التعامل مع يوسف في العمل سلسا كالماء مع جميع الزملاء على اختلاف طباعهم وأمزجتهم.

خلال إشرافه على الورقات الثقافية فتح أبوابها للشباب من بين أولئك الذين يحضرون في نادي « الأربعاء الأدبي» الذي كان ينّشطه في النّادي الثقافي الطاهر الحداد ونشر الشعر والقصّة والدراسات النقدّية للعديد منهم. وهناك مَن بات لهم شأن الآن كل في مجاله.

يعتبر يوسف رزوقة أبناء القسم الثقافي في جريدة «الصحافة» عائلته الثانية. كان في كل مرّة يأخذ البعض ممن حضر إلى الغداء وكان كريما يدفع بتلقائية ومحبة. وكثيرا ما

كانت ترافقنا رشا ابنته البكر التي كبرت في أروقة الجريدة بيننا حتى تخرّجت وواصلت الجلوس بيننا لكن كزميلة متعاونة.

تزوجت رشا وحملت وأنجبت بنتا تشبهها ورأيت ألق الفرح يعود إلى روح يوسف التي انطفأت حزنا بعد مقتل صديقه الحميم زميلنا بالجريدة غدرا في حيّه السكني على بعد خطوات من منزله، وكذلك بعد موت زميلنا محمد الهادف بسكتة قلبية وهو شاب لم يتجاوز الخامسة والثلاثين.

عاد يوسف إلى عاداته القديمة بين العمل وتنشيط النادي وكتابة الشعر والرواية النهر التي قرأ لي منها فصولا.

عادت حياتنا في الجريدة وردية بعد أن وارى النسيان وجع فقدان الزميلين إلى أن أفقنا ذات صباح على كارثة حقيقية ستقلب حياة يوسف رأسا على عقب.

ماتت رشا ابنة يوسف وهي تضع مولودها الثاني الذي توفي معها.

بدا الخبر وكأنّه كذبة أفريل، لا أحد صدّق حتى ونحن في منزل يوسف حيث جاء الناس من كل فجّ يبكون الراحلة وهي عروس في عزّ الشباب.

يوسف هو الآخر لم يصدّق كان يدخّن ويطوف على الزملاء والأهل والأصدقاء يطلب منهم الهدوء وعدم البكاء مردّدا : «رشا في الجنّة».

أدركت جيّدا ساعتئذ أنّ صدمته قاتلة وأنّه لن ينجو من شلال الحزن الذي سحبه إلي غياهب العزلة إلاّ بالكتابة.

وانهال يوسف على الكتابة شعرا بالعربية والاسبانية، نثرا وروايات وروايات بلا عدّ، يكتب لينسى كارثة قلبه الذي نُزع منه وهو حيّا.

كانت زوجته رفيعة تأخذ بكتفه تسنده ليبكيا معا غياب فلذة الكبد.

ذات يوم آخر كئيب يأخذ القدر رفيعة ليفقد السند والشريك الوحيد في الحزن والألم.

ضاق المنزل به وضاق جسده على روحه وبات الاختناق يضغط على أنفاسه ولا مفر غير حضن الأمّ المعطّر برائحة الطفولة. هناك في قريته زُردة وفي منزل أمّه وحضنها يهرب إلى طفولته وينسى أنّه تزوج وأنجب رشا التي خطفت روحه وهربت. هل كانت تلاعبه كما كانت تفعل وهي طفلة ؟ لكنها لم تعد بل أخذت معها والدتها.

ولمّا اطمأن وانتعش قليلا برائحة «لاَهم» والدته، عاد القدر إلى القسوة من جديد ليأخذ الوالدة ويصبح يوسف يتيما حقيقيا لا غبار عليه سوى غبار الحزن الذي انثال على روحه فتاهت بين الأرض والسماء، بين الموت والحياة.

في بداية تعرّفي إليه رأيت أنّ معدنه الإنساني مختلفا ورأيته ذكيا.

وطوال هذه السنوات والمحن التي تقاسمنا أكبرها معه وهو رحيل رشا أثبت يوسف رزوقة أنّه ذكي وأنّه مبدع وأنّه أنقذ نفسه من الجنون بالكتابة رواية وشعرا وبالرسم والألوان والظلال استطاع أن يقاوم هشاشة الإنسان المرهف الحسّ إلى حدّ المرض.

عاش يوسف حياة الشاعر ومجده وطاف العالم ونال الجوائز على الشعر والرواية وها هو الآن يكتب من أجل سيرين الحفيدة التي نفخت فيها رشا روحها. ها هو يستعيد توازنه وهو يجلس بين أحفاده طفلا مثلهم فقط هو يمتاز عليهم بأحزانه.

وقفة مع يوسف رزوقة
في مسيرته الشعرية والابداعية

البشير المشرقي

سيداتي سادتي

انه لمن دواعي البهجة والسرور ان نحضر اليوم أشغال هذه الندوة الوطنية التي تقام على شرف شاعر وكاتب وإعلامي كبير لم ينل من الحظوة ما يفي بمكانته كمبدع خاض مختلف أنواع الإبداع وأصنافه من شعر ورواية وصحافة وغيرها وأعني طبعا الأستاذ يوسف رزوقة الذي عرفته في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات بحكم تواجدي بالعاصمة آنذاك بسبب الدراسة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية شارع 9 أفريل بتونس.

عرفته من قبل أن ألتقيه شخصيا ووصلتني أخباره تباعا كصحفي مشرف على صفحات ثقافية وملاحق أدبية.

عرفته أيضا من خلال ما كان ينشره بمجلة الفكر من قصائد كنت أجد نفسي منجذبا لقراءتها بكل شغف.

مجلة الفكر كان لها الفضل الكبير في التعريف بكتابات شاعرنا وكتابات غيره من الشعراء التونسيين الذين عايشوا الشاعر وتقاسموا معه مساحة النشر في تلك الحقبة...

كان هناك عبد الله مالك القاسمي وسوف عبيد ومحمد عمار شعابنية وعبد الحميد خريف وعبد الرؤوف بوفتح ومحمد احمد القابسي وكثيرون غيرهم وكان ديدن هؤلاء وباقي الجماعة، التسابق نحو الجودة لا غير، في فترة تنوعت فيها المشارب والاتجاهات الشعرية...

كانت قصيدة العمود وقصيدة التفعيلة حاضرتين. وكان هناك ما سمته مجلة الفكر ب : في غير العمودي والحر وبرز في هذا النمط كثيرون منهم الطاهر الحداد والحبيب الزناد والتهامي الكار وفضيلة الشابي، إلى جانب تجارب في قصيدة النثر رفع لواءها أمثال سوف عبيد ومحمد احمد القابسي صاحب البحر في كأس..

كما كانت قصائد محمد مصمولي المضادة حاضرة من خلال مجموعته رافض والعشق معي... وكان هناك أيضا جماعة القيروان بأعمدتها الثلاثة، محمد الغزي ومنصف الوهايبي وجميلة الماجري..

طبعا كانت هناك كتابات الكبار من الشعراء سنا وتجربة كأحمد اللغماني وجعفر ماجد والهادي نعمان وعامر بوترعة ونورالدين صمود وغيرهم...

في هذا المناخ الشعري والإبداعي المليء بالحركة والحيوية والتغير الفاعل رغم المتناقضات والتنافر شكلا ومحتوى كان الشاعر يوسف رزوقة يبحث عن منافذ وطرق تؤدي به إلى اكتساب ما به يحقق التميز والتفرد وهو ما سيتحقق له لاحقا.

اذن ظل شاعرنا في ذاك الفضاء الشعري المتحرك يكتب قصائده العمودية والمتحررة الجميلة بكل جرأة وثقة في النفس. ونذكر في هذا الصدد إن مجلة الفكر نشرت للشاعر الصادق شرف قصيدة عمودية على بحر المتقارب نسج عليها عشرات الشعراء ونشرتها المجلة تباعا تحت عنوان تونس الحب تونس الياسمين وكان يوسف رزوقة في الموعد وشارك بقصيدة جميلة لفتت الانتباه آنذاك...

يقول رزوقة في تلك القصيدة الجميلة :

وحاولت أن ادلهم قليلا

ولكن حبك ظل الفتيلا

احبك تونس إني فتاك

هوى فانتهى في هواك قتيلا

أتى النبع في كل وجه فصفق

في الكلمات الحمام هديلا

ولم يبق لي غير حلم يتيم

تشكل عبر الرؤى أرخبيلا

أنا أخر الشعراء اشتهاء

وأولهم نعرة وصهيلا....

لقد دأب يوسف رزوقة على ذلك النمط من الكتابة الشعرية ان شكلا أو مضمونا إلى أن أصدر ديوانه الأول : امتاز عليك بأحزاني وقد ضم قصائد تعتبر امتدادا للخيط الذي ميز كتاباته في بداية المشوار ولست أغالي إذا ما قلت إن شاعرنا في هذا الديوان قد بلغ شوطا كبيرا من الشاعرية المبدعة رغم أن شكل القصائد فيه وأغراضها لم تخرج عن المألوف، فهي قصائد عمودية أو من شعر التفعيلة ولكن الشاعر قد حذق هندستها وتفنن في مضامينها بما جعل من هذا الديوان تبشيرا بميلاد شاعر سيكون له شأن وأي شأن في مسيرة الشعر التونسي الحديث.

وشخصيا أحب هذا الديوان وأعود إليه من حين إلى أخر عودتي لغيره من الدواوين التي أحببتها أيضا.

بعد هذا الديوان المرجع باعتباره من البداية يعطينا فكرة اولية عن ملابسات الحالة الشعرية لدى رزوقة ويبرز ظاهرة ستظل مرافقة للشاعر في مختلف مراحل مسيرته الإبداعية ونعني بها ظاهرة الحزن التي عنها تصدر روائعه الشعرية في شتى كتاباته، قلت بعد هذا الديوان الأول الصادر سنة 1978 عن دار الأخلاء، تتلاحق المجموعات الجديدة، برنامج الوردة، إسطرلاب يوسف المسافر، الذئب في العبارة، بلاد ما بين اليدين، أزهار ثاني أكسيد التاريخ، وهذه المجموعات

مجتمعة تؤشر لمرحلة جديدة من مراحل الكتابة لدى الشاعر هي بمثابة التحول البارز الذي سيطبع قصائده بطابع خاص غير مألوف...

بمروره من ديوان امتاز عليك بأحزاني مر الشاعر من طور الغنائية Lyrisme والرومانسية المغلفة بالحزن إلى طور التعقيد في اللفظ والمعنى، فلم تعد الذات لدى الشاعر مصدر بوح والهام في انكسارها وذوبانها بل أصبح المشهد المعيش ككل بكل دراميته وقتامته وتداعياته مصدرا لهندسة القصيدة في أبعادها القصية النائية..

في ذاك المحيط الجديد تمتزج إفرازات الذات بمكونات الواقع المادي لتكون بانوراما يختلط فيها الأمل بالتشاؤم والتنافر وتكون الغلبة لإشراق الذات في صراعها مع القوى المثبطة للعزائم حتى لكان القصيدة عند رزوقة تتحول إلى قصيدة بودلارية يغلب فيها اريج الزهر إطلالة القبح التي تتسلل إلى المشهد في محاولة لإفساده...

تجربة طويلة خاضها الشاعر مع الكلمة الشعرية في انسياباتها الغنائية وتعقيداتها اللفظية ومعانيها شبه السريالية سيما في دواوينه التي شكلت منعرجا في الكتابة لديه وخرجت به عن المالوف، زيادة على شغفه بالرواية التي انتج فيها كتبا قيمة..

هي :

الأرخبيل

مسمار تشيخوف

وداعا براءة العالم

ريكامو

أعشاش مغشوشة

ولم يتوقف يوسف رزوقة عن الكتابة ولم يكتف بمدونته الشعرية والروائية والإعلامية بل واصل المشوار بنفس التوهج ونفس الإصرار بما يكتبه بانتظام تقريبا وينشره بصفحته بوسائل الاتصال من اشعار أرى من الضروري التوقف عند البعض منها لما تقدمه للقارئ من إضافات واضاءات ضرورية لاستكمال دراسة حالته الشعرية وما يحف بها من عناصر فاعلة.

أولى الملاحظات حول هذه التدوينات الشعرية أنها تتنزل في ما اختاره الشاعر من نهج مغاير للسائد في الحركة الشعرية الحديثة ولكنه امتداد للنفس الشعري لديه بعد ديوانه امتاز عليك بأحزاني ولذلك وجب التنويه بها وقراءتها بتأن وحيطة فهي ليست تدوينات بسيطة أو ظرفية وإنما هي قصائد فيها من الصنعة الشعرية وعمق المعنى ما يتطلب توسعا كبيرا بظروفها وملابساتها وخصائصها بما لا يسمح به المجال ولا الظرف.

هذه القصائد هي من شعر التفعيلة.. التفعيلة التي يفعل بها الشاعر ما يشاء ويطوعها لخدمة أغراضه حتى لكانها لعبة في يديه يذهب بها يمينا وشمالا فتستجيب له صاغرة طائعة ممتثلة..

وهي أحيانا من الشعر العمودي المنقح... القصيدة العمودية التي يعود إليها الشاعر عودة العاشق لحبيبته فيخرج بها من جمودها القديم ليلبسها ثياب الحداثة بحنكة ودراية ولمسات فنية وإبداعية واضحة المعالم...

السمة الغالبة على هذه القصائد هي التأمل والغوص في أبعاد الفكرة والحدث.. غابت الغنائية كظاهرة طاغية ولكنها بقيت متخفية تحت جناح ستار سميك هو عقدة الفكرة وانزياحات اللغة خارج مستقرها لتصبح هي الأخرى لغزا يتعين فكه تماما كالفكرة...

يقول الشاعر :

فطرت إلى رف مكتبة لي

وزوجت نفسي كتابا تصفحته

صفحة صفحة

ثم سرعان ما عفت ما جاء فيه

فأحرقته

ثم أحرقت في الدمعة الألف

من شمعتي ألف ليلى وليلى

وأحرقت من ثم نفسي....

ويقول متأملا متسائلا وقد أصبح الشعر عنده مرادفا للحياة ولدقات القلب الممتلئ بها :

بشيء من الشاعرية عشها الحياة

فما لا يهمك وهو حواليك نثر

لذا مت نضالا لتحيا حياتك شعرا

وما الشعر؟.. ما ينبغي ان يعاش..

ويغرق في التأمل واضعا أسس وجود جديد لا صلة له بالواقع المعيش :

هذا الإطار خرجت منه إلى الهواء الطلق

عصفورا جناحاه الوجود وما الوجود؟

ذريعة لا غير

للتحليق فيه

بمنتهى حريتي...

ويقول متحدثا عن مزاجه وهو ركيزة الحالة الشعرية لديه :

مزاجي زجاج

مزاجي الزجاجي هذا

سريع التلون والالتهاب

مزاجي الزجاجي هذا

يهشمني دون مطرقة

ويباعد بيني وبين ذوات....

كرهت المجاز بأنواعه

وتهاوى مزاجي على شاطئ البحر رملا

فمن سوف يصهرني من جديد؟

لتنهض من كومة الرمل تلك..

ذاتي الحديد؟

ويلتفت الشاعر إلى ظله التائه بين الظلال فيشكو غربة مقيتة رمته في محيط لا يعرفه وهو أيضا لا يعرفه.

فلا العصر عصري كي يجيء بقوة

ولاهم يريدون النجاح لهم ولي

لذلك لا هم لي جناح ولا أنا

جناح لهم فليتركوني ومغزلي !

وهكذا فالشاعر وان اغرق في التأمل فهو لا ينسى ذاته التي ظلت في عتمة الوجود تضيء كالشمعة التي تذوب :

يقول متذكرا أمه :

وهي تشرب قهوتها وتدندن أغنية ما وتسألني متى ستعود إلى تونس احترت وهي جنبي جوابا ومن يومها أتذكر ذلك وهي معي أنحني كل يوم لها وهي تلكزني بعصاها متى عن لي أن أمازحها إينها ألان أسأل نفسي كما سألتني متى ستعود؟

ثم ان هناك الزوجة والابنة رشا وقد غادرتا الحياة وتركتا الشاعر دون وداع جرحه ينزف بلا هوادة

لا تطرقوا بابي فاني غائب ولان هذا الحزن حزني أكتفي بالحزن أدمنه وحيدا لا الرجال أحبتي يهوون ما بي من حداد قد يطول ولا النساء !

عود على بدء :

وفي الأخير أعود لأثمن من جديد هذا النشاط الهادف المفيد الذي يسعى من يقف وراءه وخاصة الكاتب والمبدع المتميز محمد المي إلى فك العزلة على شعراء ومبدعين كبار كيوسف رزوقة الذي يهمنا أن يواصل المشوار بكل اقتدار لا حاجز يقف أمامه ولا سقف لأجنحته كما يقول...

ندوة كلها محبة وتكريم لشاعر فنان حتى لا يشكو الغبن ولا يقول ما قاله يوما :

في معرض للكتاب كهذا
لماذا أراني تصاغرتُ فيه؟
تلفَّتُّ لم أر إلا كبارا
هنيئا لهم، قلتُ، من (غير ليه)!
متى كبروا؟.. اكبري لا تجيبي
نهرتُ الأنا وهي في شبه تيه

فماذا يفيدك إن كنت أصلاً

هنا الآن في واقع لا تعيه

الحكاية أكبر منك ومنهم

لذا كن كبيرا

لنفسك

واصمت!!

البشير المشرقي

بنزرت في 14/ 08/ 2023

بانُوراما على تُخوم يُوسف رزوقة

سُوف عبيد

1

ذلك الفتى الذي تقدّم إلى أستاذه مبتهجا ومفتخرا جذلانَ وهو في السنوات الأولى من التعليم الثانوي وفي يده المجلة أو الصحيفة التي نشرت له نصّه قصةً أو شعرًا لاقاه ذلك الأستاذ عابسا بالصدّ بل نهره كأنّ الفتى اِرتكب ذنبا كبيرا في نظره فقد اِعتقد جازمًا أن تلميذه اِنتحل النص ونشره بِاسمه

هذه هي الصدمة الثانية التي يتلقاها ذلك الأديب اليافع

أما الصدمة الأولى فقد كانت مع عمود الكهرباء عندما اِصطدم به وهو يسير قارئا ما خطّه يراعُه الذي فاجأه منشورا أوّل مرة وقد أرسله بالبريد فاِنهمك في قراءته وهو يسير حتى اِندمج في الصحيفة فوجد نفسه بغنةً وجهًا لوجه مع العمود

بعد سنوات عشرٍ أو تكاد جلس ذلك الفتى وقد صار شابا في كلية الآداب بتونس أمام أستاذه وهو الشاعر رياض المرزوقي ليمتحنه في المسألة الشفاهية فيجد منه التشجيع بل التهنئة والِاعتزاز بفوزه بجائزة وزارة الثقافة الأولى بالرغم أن أستاذه قد فاز معه ولكن بالجائزة الثانية

ذاك الفتى... ثم ذلك الشاب بعد سنوات وجدت تعريفا له في موقع غوغل على الأنترنت كما يلي :

ـ **يوسف رزوقة** شاعر وناقد وكاتب تونسي من مواليد 21 مارس 1957، بقصور الساف بتونس. يراوح في كتاباته بين النقد، الشعر، القصّة ويكتب للأطفال واليافعين. صاغ مع مثقفين عرب **دستور الشعراء** : رؤيةً جديدة لتشخيص الإيقاع العالمي الجديد في ظل الفضاء الِاتصالي المُعَولم.

ـ خاض مع شعراء من فرنسا ضمن أشغال ورشوية تجربة تطبيق العروض على القصيدة الفرنسية وله في هذا السياق مؤلفاتٌ كما خاض مع شعراء من الأرجنتين ضمن أشغال ورشوية تجربة **اليوغا الشعرية** بالإسبانية وله في هذا السياق مؤلفات

ـ تمّ اِنتخابه 2005 سفيرًا لدى جمعية أمريكا اللاتينية لشعراء العالم بالشيلي، مُمثّلا للعالم العربي فأمينا عاما لها وتمّ تعيينه 2006 في جينيف سفيرا عالميا للسلام

إلى جانب لغته الأمّ، يدأب على الكتابة بلغات أخرى هي الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والبرتغالية

2

اِبتهجتُ حقا بهذا التعريف الشامل لأنه يؤكد أن أديبا تونسيا من أصدقائي ومن جيلي قد نال كل هذا التقدير بفضل دأبه على الأدب في مختلف فنونه ولغاته وأحسست بشيء من الحسرة

أو العتاب الذاتي لأني لم أكن مُلمّا بكثير من هذه التفاصيل في مسيرة يوسف رزوقة وأنا الذي أكنّ له المحبّة والإعتزاز وبيننا الصفاء والعِشرة الطيّبة فقد اِلتقينا وشاركنا وترافقنا وواكبنا عديد المناسبات معًا على مدى سنوات عديدة في تونس خارجها وهذه مناسبة لمصافحة أخرى بيني وبين صديقي يوسف رزوقة شاكرا لصديقنا محمد المي إتاحة هذه الفرصة للحديث عمّا تيسّر في مسيرته الثريّة والمتميزة والتي يصفها صديقنا عامر بوعزّة قائلا :

ـ إنه يصعب تصنيف الكاتب يوسف رزوقة ضمن تيار بعينه من تيارات الكتابة الحديثة في تونس وذلك على الأقل لثلاثة أسباب موضوعية، أوّلها تبعثر التيارات الأدبية المحلية منذ نهاية الثمانينات وتلاشيها في أصوات منفردة رغم كل محاولات تجميعها اللاحقة، وثانيها غزارة إنتاج الكاتب فهو أكثر شعراء جيله إصدارا للمؤلفات بل لعله يمثل ظاهرة فريدة في تونس التي يتّسم إنتاجُ كتّابها ومثقفيها بالندرة بدءا من أبي القاسم الشابي وصولا إلى محمود المسعدي، وثالث هذه الأسباب تنوع تجربة الكتابة لدى يوسف رزوقة فقد جمع بين لغات شتى ووظف ذلك ليكون بمحض مبادرته جسرا بين الثقافة العربية في شمال افريقيا ونظيرتها في أمريكا اللاتينية، وهو ينتقل جيئة وذهابا بين الشعر والرواية وإن كان لا يتفرد بهذا إذ درج كثير من الشعراء على الانتقال في مراحل متقدمة من تجاربهم إلى السرد مستثمرين حوار الأجناس في أعمالهم لاكتشاف مناطق جديدة في التجريب الإبداعي

3

ليس سهلا بل ليس ممكنا إذن أن أحيط بمحطّات ومصنّفات ومساهمات يوسف رزوقة الأدبية والفنية من رسم وشعر وقصة ورواية وكتابات للأطفال واليافعين وغيرها من الكتابات في مختلف اللغات فهذا الأمر لا تقوم به إلا جهود متنوعة ومتضافرة وعلى مدى سنوات من البحث ومثل هذا الطموح من المفروض أن تنهض به مختلف المؤسسات الجامعية والثقافية بما لها من كفاءات نقدية ومجالات بحث مختلفة ضمن برامجها وشهائد تخرّجها وفي نطاق اِستراتيجية ثقافية وطنية شاملة تعتز بالاِنتماء إلى تونس أوّلا وبالذات ولكن مع الأسف فإن الكثير من قومنا يؤثرون الغير على بنيها بالرغم أن بينهم من هو جدير بالدراسة والمتابعة ومن ذاع صيته شرقا وغربا...

ليس عجبا إذن أنك إذا تصفحتَ ـ غوغل ـ أو كتبت اِسم يوسف رزوقة في مجالات الأنترنت ستقرأ لا محالة عديد العناوين من بينها مثلا :

يوسف رزوقة... العبقريّ المنسيّ في تونس المحتفى به عالميا

أو يوسف رزوقة... قصّة شاعر وكاتب تونسي اِحتفى به العالم وتناسته بلاده

إنّ الأمر لا يهمّ يوسف رزوقة فقط وإنما يشمل العديد من الأدباء التونسيين نذكر من بينهم الراحلين مثل محمد العروسي المطوي والميداني بن صالح ومحمد المختار جنّات ومحي الدين خريّف ونور الدين صمود وجعفر ماجد ناهيك أنّ أبا القاسم الشابي ومحمود المسعدي وما أدراك ما هما... هما اللذان لا أعرف أن رسالة دكتوراة دولة واحدة أنجزها أحد من التونسيين في موضوع حول مصنّفاتهما العديدة !

في هذا السياق وضمن هذا الطموح تتنزّل مثل هذه الندوة لعلها تكون حافزا للهمم فتحرّك ساكنا وتثير المياه الرّاكدة.

لقد اِكتوى شاعرُنا بهذا الجحود من بني قومه وتأثّر من عدم المبالاة الضارب في تونس حول المبدعين وقد نال منه اليأس والإحباط بسبب الوضع الإنساني المرعب الذي أمسى يسود العالم فصرّح مرّة قائلا في فزع :

ـ اِنتهى الإنسان وانتهت الرّؤى... حلوى وشوكولاتة مسمومة في كلّ واجهة معلّبة بلا علب هنا والآن، لا قرّاء إطلاقا ولا عشّاقا للأدب اِنتهى الأدب اِنتهى الشّغف...

4

ثمّة بعض المبالغة حقّا من صديقنا يوسف في شعوره بهذا الضّيم الذي أحسّ به فهو والحقّ يقال يتمتّع بين الجميع بقدر كبير من التقدير والاِحترام سواء كان مشتغلا بالصحافة أو منتسبا لميدان الثقافة فهو أحد رموز القصيدة التونسية الجديدة

بلا منازع وعندما نستعرض فقط قائمة الجوائز التي نالها نتأكد من ذلك ومن هذه الجوائز نذكر :

•الصّنف الثالث من وسام الاستحقاق الثقافي بتونس.

1 ـ جائزة وزارة الثقافة لكتابه الشعري «برنامج الوردة»،1986.

2 ـ جائزة وزارة الثقافة لأدب الطفل عن كتابه «وطارت البرتقالة» 1993

3 ـ جائزة وزارة الشباب والطفولة لأناشيد الأطفال، عن شريطه المغنطيسي «صباح الخير يا وطني» (ألحان فرحات الجديد وأداء أطفال المرّيخ») 1997

4 ـ جائزة وزارة الثقافة لكتابه الشعري «الذئب في العبارة»،1999.

5 ـ جائزة أبي القاسم الشابي لكتابه الشعري «أزهار ثاني أوكسيد التاريخ»،2002.

6 ـ جائزة الدكتور أحمد عبد السلام للإبداع الثقافي | رصدتها ولاية المهدية تتويجا لمسيرته الشعرية،2003.

7 ـ جائزة الملك عبد الله للآداب والفنون ـ عمان الأردن، عن مجمل أعماله الشعرية 2004 مناصفة مع الشاعر الأردني حيدرمحمود حيدر

لا أظن أن المبدع الحقيقي يقيس نجاحه بكثرة الجوائز والتكريمات وغيرها لذلك نرى صديقنا يوسف رزوقة غير راض بما آل إليه الشعر والفنون في شتّى أصقاع العالم من عدم اِهتمام فقد تفشّت حضارة الاِستهلاك السريع في كل الميادين ومقاييس العرض والطلب واِنحدرت القيم الإنسانية هاويةً في سراديب التلاشي والاِنهيار وفي هذا السياق نضع قولته هذه ـ

اِنتهى الإنسان وانتهت الرّؤى... حلوى وشوكولاتة مسمومة في كلّ واجهة معلّبة بلا علب هنا والآن، لا قرّاء إطلاقا ولا عشّاقا

للأدب اِنتهى الأدب اِنتهى الشّغف...ـ

فبهذا الاعتبار إذن نقرأ عنوان مجموعته الشعرية الأولى ـ أمتاز عليك بأحزاني ـ إنها أحزان ثقيلة وضاربة في الأعماق وتُخيّم على كل الآفاق لأنها ناتجة عن إحساس إنساني عارم بما آل إليه العالم نحو التدهور على جميع المستويات فوجد الشاعر نفسه وحيدا غريبا لا تربطه بغيره أية علاقة وقد اِنفصمت الصلات بينه وبين الآخرين مثلما عبّر عن غربته الموحشة الشاعر القديم الأحيمر السّعدي قائلا:

عَوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى

وصَوَّتَ إنسانٌ فكدتُ أطيرُ

فلا نتفاجأ عندما نقرأ قصيدة ـ نلتقي في جنّة الوهم ـ أنه يودّع الجميع ويودّع كل شيء كأنها قصيدة رثاء ذاتي قبل الأوان :

مكرها لا بطلا

أُلقِي بنفسي خارجَ المنزلِ والتّاريخِ والجغرافيا
لا اللّغةُ الأمُّ بأمّي
لا عبادُ اللّهِ ناسي
مُكرَها لا بطلا
أنسلُّ من عائلةٍ..
عائلُها الأوّلُ كالآخِرِ شيءٌ تافهٌ جدًّا ومفعولٌ به حدَّ الرّثاءِ
مكرَها لا بطلا
أشطُبُ اسمي
إنّني المَيِّتُ
والواجبُ إكرامي بالممكنِ من فاكهةِ النّسيانِ
لا أطلبُ شيئًا من محاويجِ بلادي
لا ولن أبكيَ كالخنساءِ كونيَ متُّ قهرًا
مع أنّي وأنا أمضي بعيدًا..
أتمادى في بكاءٍ يجعلُ النّخلةَ تحدودبُ في صحرائـِها لي
أيّها الآخِرُ
ها أنّي وحيدٌ و.. كثيرٌ
لستُ أحتاجُ إلى شيءٍ
فقطُ إن لحت في زُومِكَ..
فلا تفتحْ لي ذراعيكَ

وأغلقْ، أيّها الآخِرُ، فردوسَكَ في وجهي
فلا يستأهِلُ الواحدُ منّي، وأنا شعبٌ من اللاّ شيءِ، شيئًا
قد ينجّيني من الموتِ وحيدًا وشريدًا وبعيدًا عن بلادي..
مكرَهًا لا بطلاً
ألقي بنفسي خارجَ المنزلِ والتّاريخِ والجغرافيا
ها إنّني متُّ
فلن أبكيَ، من ثـمّةَ، من قهرٍ، على كمْ وطنٍ لي
لم يعد يعني، وكلّ الفضل للأبناء، شيئاً
نلتقي في جنّةِ الوهمِ... وداعًا!.

6

إن شعور الإحباط والتشاؤم من المنزلة الإنسانية زاد من هموم الحزن القديم في معاناة الشاعر فحُزنه يبدو أنه مثخن متأصّل الشجون ضارب الجذور منذ نشأته زمن طفولته فبرز واضحا جليّا وبغتة في مطلع شبابه مع صدور ديوانه الأول وذلك في عنوان ـ أمتاز عليك ـ وهو في الأصل عنوان قصيدة بمناسبة رحيل صديقنا الشاعر مختار اللغماني سنة 1976

وللشّاعر عديد الوقائع يستذكر فيها تفاصيل عهد الطفولة ويسجّل بعض الملامح والأخبار عن أبيه وجدّه وهي نصوص جديرة بالتحليل لكشف أغوار نفسيته حيث وردت في خمسة فصول أو محطات منشورة في حسابه الخاص بالفايسبوك وهي :

ـ قصور الساف محطة أولى
ـ قصور الساف محطة ثانية الساف أعرفها
ـ قصور الساف محظة ثالثة
ـ صور الساف محطة رابعة ـ زُردة
ـ محطة خامسة ـ الغولة التي أحببت

لقد كان الشاعر واعيا بهذا الحزن بِاعتباره أحد أهم محاور الشاعرية لديه حيث نقرأ له قائلا :

ـ منذ البداية، لازمني الحزن كهاجس متواتر بوصفه حزنا إيجابيا يؤسس لبدائل شعورية ورؤيوية تبني في المتلقي ما به يستوي مستطيعا بالسلبيات.. ولعل في عنوان ديواني الأول «أمتاز عليك بأحزاني» الصادر سنة 1978، وكنت طالبا وقتها في سنتي الأولى بكلية الآداب، خير دليل على تباشير الحزن الأولى والتي تواصلت معي ولم تزايلني إلى الآن، على خلفية أن الحزن لا يصدر دائما عن مزاج سوداوي، قاتم بل إحساس عارم شبيه بالاندهاش الفلسفي يجعل الذات المبدعة تتمثل هما بنائيا هو الحزن المؤسس والذي بدونه، ينتفي رؤيويا معنى الانشغال وتحل محله الدعة واللا اهتمام بسؤال الوجود في شتى تلاوينه

7

إن حُزن يوسف رزوقة ليس حزنا رومنسيا شخصيا وإنّما هو حزن متجذّر شامل حتى أمسى حزنا كونيّا نتيجة تماهيه في

الغربة الإنسانية التي اِلْتبس بها واِلْتبست به عند مقاربته الآداب الأخرى في العالم من أقاصي آسيا إلى وسط أوروبا وحتى أمريكا اللاتينية فتفاعل مع أعلام الشعر والأدب في تلك البلدان وربط صلاتٍ وُثقى مع كثير من معاصريه في آدابها التي حذق بعض لغاتها وأبدع فيها أيضا وما قصيدة ـ يفغيني يفتوشنكو ـ إلا مثال عن هذا الفيض الإنساني فعبّر فيها عن تضامنه مع هذا الشاعر من الاِتحاد السوفياتي حيث كشف في قصائده ومقالته بشاعة عهد ستالين وفي القصيدة ثمة إشارة إلى التحولات الجذرية التي حدثت في عهد غورباتشوف مما يؤكد تفاعل يوسف رزوقة مع بعض الأحداث العالمية جاعلا من أعلام العصر إشارات وتلميحات فهو يقول في بعض حواراته إنه **يعمل على تقنية القصيدة التي تقول الصمت وتلهج بالمسكوت عنه ـ وهذه القصيدة تعبّر أحسن تعبير عن هذه القولة**

وهذه قصيدة يوسف رزوقة ـ يفغيني يفتوشنكو ـ

الغربة

غورباتشوف

غرابة ما لم يغرب بعد

اغرب عن وجهي !

لكنّ السّنجاب تجاهل تهديدات الشّاعر

واستولى من ثمّ

على حبّ امرأة

كانت تتجمّل غير بعيد عن يفتوشنكو

لفتاها القادم بعد قليل
من فزّاعة غورباتشوف

ومن قصائد الشاعر يفغنني يفتوشنكو (1932 ـ 2017)، وهو-شاعر وروائي من أصل أوكراني. بدأ نشاطه بكتابة الشعر في عام 1949، ثم في عام 1952 أصدر أول كتاب له بعنوان «كشافة المستقبل»، وأصبح أصغر عضو في اِتحاد الكتاب في الاتحاد السوفييتي. انتقل سنة 1991 للعيش في الولايات المتحدة.

ومن قصائده بترجمة إبراهيم إستنبولي هذه القصيدة

نحن لا نشيخ بفعل الشيخوخة
ولا بسبب ما عشناه من سنوات
بل نشيخ من جرَاء التعب
وبسبب الآثام والإهانات
بفعل الحزن والقدر المحتوم
وبفعل حبٍّ لم يُكتب له النجاح؛
بسبب فقدان الأمل في هذي الحياة
وبسبب ذلك الصخب اليومي
بسبب الهموم التي تتضاعف وحسب

والمشاكل التي لا حلَّ لها

نحن نشيخ قبل الأوان

لأنَّ أرواحنا تُصاب باليأس

والإحباط

8

إنّ منهجية الأدب المقارن التي تبحث في العلاقة بين مختلف الآداب من خلال آثار الأدباء في هذه اللغة وتلك فتقف على التشابه والتأثر والتأثير بينهم يمكن أن تكون أحد أهمّ أبواب الولوج إلى أدب يوسف رزوقة لكشف تخوم مسيرته شعرا ورواية وغيرهما من نصوصه الأخرى كما يمكن لمنهج التحليل النفسي أن يستبطن حتى تأثيرَ اِسمه _ يوسف _ في كثير ممّا كتب وأن يحلّل تلك النصوص التي تمخّضت عن بعض الأحداث المأساوية في حياته...وقائع شخصية قد واجهها في حياته بكثير من الصبر والتحدّي وهذا المبحث النفسي يمكن أن يفتح مجالات أخرى في خصائصه الأدبية التي تتميز أيضا بالتعدّد اللّساني فقد أرسل ذئبه الإبداعي في غابة الأدب بشتى اللغات والأجناس فحقق المعادلة المستحيلة... ما جاع الرّاعي... ولم يشتك الذئب

9

أقترح إذن منهجيةً ثلاثية الأبعاد أو الأضلاع هي

منهجية التحليل النفسي

ومنهجية أدب المقارن

والمنهجية اللسانية

بهذه الثلاثية مجتمعة يمكن لنا مباشرةُ مدوّنةِ يوسف رزوقة

حتى نقف على مختلف أبعادها وخصائصها

ختاما

قرأتُ في بعض الأخبار القديمة أن يوسف زليخة سُئل يوما ما فعل بك إخوتك ؟ فأجاب : لا تسألوني عن فعل إخوتي بل اُذكروا لطف ربّي بِي

اليوم ونحن نحتفي بصديقنا يوسف رزوقة نقول إنّ الذئب الذي أرسله في العبارة كان ذئبا وديعا...وديعا جدا

فما ألطف ذئب عبارتك يا يوسف !

سُوف عبيد ـ رادس 15 أوت 2023

الكتابة للطفل عند يوسف رزوقة
مشروع للنهل من شعرية الذاكرة

هيام الفرشيشي

كتب يوسف رزوقة للأطفال منذ 1992 حيث أصدر مجموعة قصصية بعنوان «وطارت البرتقالة» وهي من قصص الخيال العلمي، قصص مصورة نالت جائزة وزارة الثقافة لأدب الطفل 1993. ثم كتب «أرض المجاز» وهي رواية للأطفال واليافعين صدرت في 2009.

ولم تقتصر تجربة يوسف رزوقة على الكتابة باللغة العربية، بل أصدر في 2009 أشعارا بالاسبانية بعنوان «يوغولا» ضمن قرص مضغوط صادر بالأرجنتين محورها اليوغا الشعرية، بالاشتراك مع شاعرتين من الارجنتين هما غراسيلا مالاغريدا وايريس غاديلاغو.

وفي 2010 كتب رواية لليافعين بعنوان «جنة الشيطان أو الحب بجرعات صغيرة» ورد في ترجمات خمس: الأنجليزية، الفرنسية، الاسبانية، الايطالية، والبرتغالية. كما أصدر رواية للأطفال بعنوان «تفاح نيوتن» في 2011. رواية، خيال علمي حازت على جائزة مصطفى عزوز لأدب الأطفال.

وكتب «لنغني للحياة» وهي (أناشيد) توجت بجائزة عبد الـحميد شومان لأدب الأطفال في الأردن (دورة 2012).

* «العصافير تحلم أيضا» مجموعة قصصية، 2012.
* أطفال القمر وقصص أخرى: جائزة الدولة لأدب الطفل– قطر (دورة 2013).
* خاتـم جّدي (رواية للأطفال واليافعين) 2013.
* الـحصان ذو الـمـنقار (قصص للأطفال واليافعين) 2014.
* احكي لي عن حنش الـماء يا ماما، قصة للأطفال 2015.
* رواية «جينا هاني» في 2020. التي حازت على جائزة المعرض الدولي للكتاب.

وفي 2021 أصدر «المشروع»، «سر القمر الأخضر»، «لا سقف لأجنحتي». وهي منتخبات شعرية.

من بين هذه المنتخبات الشعرية اخترنا كتاب «المشروع» الذي أهداه إلى الروائي والأكاديمي والخبير في الاتصال عبد القادر بن الشيخ صاحب رواية «ونصيبي من الأفق» نظرا لرفقته الجميلة حيث شاركه وحدة برامج الأطفال في الإذاعة الوطنية في 1988. وأشرف معه على ورشة الكتابة للأطفال بعنوان «عيون الطفولة». التي كانت تبث مرتين في الأسبوع صلب الإذاعة لتستوي كتابات الأطفال وهم يتطلعون إلى الغد. استنادا إلى المقاربات المضيئة للروائي عبد القادر بن الشيخ.

فـ«المشروع» امتداد لمشروع متكامل، لسلسلة من الأعمال الأخرى الموجهة للطفل وكان هدفها صياغة المستقبل. أعمال تراوحت بين الكتابة السردية والكتابة الشعرية. ويستهدف شريحة اليافعين التي تجاوزت الطفولة الأولى بكل دهشتها وخيالاتها واكتشافات الوهلة الأولى إلى مرحلة تعلم اللغة لمزيد إثراء مخزونها اللغوي.

«المشروع» يربط الصلة بين حاضر الطفل وغده: «نحو طفل يده في غده» ولئن صافحت اليد غدها بحرارة فإن المعنى الضمني أن حلم الطفل تجسده يده، تلك اليد الطفولية التي ترسم، تكتب، تخربش على الأوراق، الجدران والألواح. ترى غدها من خلال ما تجسده حتى وان طغى على رسمه تركيب الأشياء والعناصر. فهو ينطلق من الأشكال: فالدائرة وجه أو قمر أو شمس أو وردة تأخذ صفات بعضها. لتأخذ صفة الإنسان في تعبيراته المتعددة.

على مستوى الشكل ينطوي «المشروع» على الشعر العمودي والحر من خلال البحور الخليلية غير المركبة. أما إيقاعه فقد اعتبره دندنة..

على مستوى المضمون ف»المشروع « ينطوي على أسئلة مهمة هي تمخضات لأفكار ومواضيع تهم الطفل وتوجيه حلمه نحو غد أجمل. ينهيه الشاعر بمعنى الانطلاق في حقول لا فزاعة فيها. حيث تتحرر قوى الطفل الكامنة في التعبير عن ذاته.

ينطوي «المشروع» على أشعار، بل نشيد. فالشعر نشيد منذ بدايات بزوغه. وله إيقاعه المضبوط ويتميز بتواتر القوافي. ولكن هل الشعر الذي يعد لغة الروح يراعي التركيبة الذهنية للطفل في عصر الثورة الرقمية وتمكنه من تصفح واستعمال آليات البرمجيات الحديثة؟ أم أنه يتوجه للطفل أي كان الذي قد يكون ذلك الطفل الكامن في الشاعر ومازال يحيا فيه ويحاول أن يوجهه حسب متغيرات العصر؟

لنفكر في المصير

ما الأمر؟

تكنولوجيا أعلى من ذكاء قادم

تلغي هواتفنا الذكية لاحقا

وسيستعاض عن الهواتف تلك...

بالوشم الالكتروني

الطفل في «المشروع» يقبع داخل اللوحة بل في مركزها. من حوله نسيج لوني متشكل كقوس قزح يرى من خلاله جمالية الحياة، فالشاعر يرى الكون بعين طفل يحلم بعالم ملون، خاصة وأن تلوين العالم من اللعب المفضلة لدى الأطفال، رؤية السماء من خلال أغلفة الحلوى الملونة الشفافة.. تلك الهالات الضوئية تصنع غبطة الطفل. وتلك الغبطة هي التي تمنح الروح راحتها لتبدع بتجليات جمالية طفولية. ولكن الشاعر يحذر من استبدال تلك اللوحة الطبيعية باللوحة

الرقمية التي تجر إلى عالم سريالي غير متجانس مع الذوق الفني المتناغم.

شاشة قد تجر ريشتها الأنهار

رسوما فائقة الإبهار

فصاحبنا رسام سريالي

يرسم ديجيتاليا فن رقمي

هو فنان تشكيلي والفأرة بيديه

تطاوعه متزأبقة في شاشة حاسوبه الآلي

اليوم سيرسم ديجاتاليا رسما سرياليا

نقطا وخطوطا والباقي ألوان الطيف السبعة

يرسمها تجريديا

لوحات فائقة الإبهار

فحاسوبه الآلي ذكي

تلك برامجه

لا تخطئها عين المتمرس فيه كَفنَّا

إن التكنولوجيا التي يستهلكها الطفل تحاول أن تضفي بعدا فنيا جماليا' وتستبدل الأدوات البسيطة كالأوراق وأقلام التلوين والألوان المائية والزيتية إلى لوحات منفتحة

على المنجز الصناعي. ولكن هل تحمل اللوحة الرقمية في مضمونها قيما جمالية ترسم النور لذات تصارع الظلام؟!

الطفل في «المشروع» يسابق الريح، يتحدى قوة جذبه للوراء فهو يتقدم بعنفوان حركته التي تتجه إلى الأمام. ضمن تلك الرغبة الطفولية الجامحة في الاندفاع تكمن شعلة التحدي. فالجسد الطفولي الصغير مشحون بطاقة رهيبة يعيد الشاعر إذكائها ليترنم بها الطفل.

الطفل هو ابن الطبيعة المدلل فالسماء الممطرة تجذبه ليتضمخ بماء الوجود، والسماء أم يدعوها برفق فتمطر، لذلك يسميها «سحابة ماما». فهي تمطر بحنان، وهي من تمنح حليب الأرض وتتضوع من مائها الزلال روائح عبقة.

يرسخ يقين الطفل ببياض كائناته الحريرية المغلفة بخضرة الخصوبة ففي أعماقها تكمن نواة الحقيقة في معناها النقي. وقد رآها في صورة شجرة اللوز التي تحمل داخل حباتها البياض المشتهى. اشراقة انطولوجية لها طعم الأفق. فما معاني الطفل الا اكتشاف بالحواس وخاصة تلك المذاقات والروائح التي تجذبه إلى رؤاه وتمنحه إجابات عن أسئلة غامضة.

اللّوْزُ يُزهرِ حيَن تَلْهُجِ باسمه

هو ما تجلى فيك يا بني

نوره هو فيك

يضع هذه المعاني العميقة المستمدة من خبرات الطفل مع الحياة ما يرسخ حقيقة الطفل الذي يمج سواد الحروب وتوترات الروح الكالحة. يرسم من خلاله الأفق المفتوح على مستقبل ما. هو فتحة للطريق السالك نحو قيم الحب والسلام. هذه القيم الإنسانية لا ترسخ فيه ولا يتعلمها بل هي من صميم وجوده. وإن حافظ عليها يكون قد جنب المستقبل من مشاعر الكره والضغينة. هو عقد يربطه الشاعر مع الطفل من أجل تأشيرة العبور لمستقبل آمن.

ما بيننا سيظل مفتوحا على مستقبل ما...

إن مشروع الشاعر مع الطفل مشروع إبداعي بالأساس لأنه يراه في صور فنان في كل المجالات. فهو خزاف ونحات ورسام وشاعر وممثل وراقص وأديب وشاعر. كل الأكوان يختبرها بذهنه وروحه وحواسه. كل ما يحتاجه أن يلتهم الكتب، ويكتشف اللغة، ويسافر بذهنه إلى أصقاع الأرض، ويختبر رحلات ممكنة لا يقف العلم حائلا أمامها، أن يمتطي مركبة نحو القمر فهو يواصل حقيقة انطلقت من حلم الإنسان.

فالغد يرسمه خيال طفل ولكنه خيال يتغذى من العلم والمعرفة والأسئلة الفلسفية الشغوفة باكتشاف حساسية العالم والفنان. بمراقبة التفاصيل الرقيقة الرهيبة تنسج لغة الطفل الكون على مهل بأنامل معتقة. العالم يبدأ من الطفل. من الشعر وذلك ما ردده يوسف رزوقة أكثر من مرة:

يبدأ العالم منا

فالشاعر من خلال مشروعه نحو طفل قد يتخبط في عالم الثورة الرقمية، أو يفقد بعض معانيه، أو يتوه عن معين الطفولة الغضة، ينزع نحو إعادة المعنى للحياة المعاصرة عبر إعادة تجذير وتشجير ما اجتث منها. فالمشروع في عمقه استرجاع لقدرة اللغة على الخصوبة، وعلى بعث إكسير الجدوى، وتنقية الروح من الشوائب لتمتد غابات شاسعة تظلل الطفل المتوقد حماسة.

المشروع هو تلك الشعرية التي تمنحها الطبيعة في تجلياتها الجمالية تداعب الخيال وتمتع الفكر. فلا يختلف إيقاع اللغة وترانيمها عن عزف الطيور أو عناصر الطبيعة الرهيفة، ولكن الشاعر يتجاوز المعجم الرومنسي وهو يعود إلى طريق الذكريات التي تستعيد خفقات القلب نشوة وبهجة... انه مشروع إعادة الحياة..

ورغم أن سيكولوجية الطفل مرتبطة باستعداداته الفطرية وسلوكاته المكتسبة فإن الكتابة الشعرية له تساير روح العصر وإن حافظت على إيقاعها المتواتر. فالتقنيات الحديثة تنجلي من خلال المعجم المستعمل. فعن أي شعر نتحدث في ظل التقدم التكنولوجي. هي من المسائل التي يطرحها يوسف رزوقة من خلال مدونته الشعرية ككل، فلغة العصر غزت شعره واللغة اشتقت من كلماتها مصطلحات جديدة.

الخاتمة

انشغل يوسف رزوقة في مشروعه بتعميق أسئلته حول صورة الطفل في عصر اللوحة الرقمية، أن يبعث فيه الينابيع التلقائية للحياة في نموها الطبيعي. أن يرسم له ما رسخ فيه من معان معتقة ببهاء الإنسانية. فحضرت تلك الشعرية التي تمثل القوى الحيوية في الإبداع والتي تمكن الشاعر من التفكير وعرض عوالمه الراسخة كإشارات رمزية، كمسكن يليق بكينونة الطفل. فعبر عن عوالم الشاعر الحميمية الخاصة. انه شاعر للطفل الكامن فيه بقوة اللغة وفعلها، لأنه ينقل المشهد ويصقل أفكاره، ويعيد تصويرها تحت ثقل الإحساس بنكهة جميلة يريد أن يتقاسمها مع المتقبل وهو الطفل أولا وأخيرا.. تلك الصور التي عايشها تستمر في الوجود وفي لحظات تذكرها واستعادة إيقاع شعريتها المتكرر يجدد ما رسخ منها ويضيف ما طرأ عليها من تبدل مع تطور إيقاع العصر.

تأملات سريعة في قصيدة
«جمهورية بلا رأس أو حديقة أرسطو»
ليوسف رزوقة
أو تراجيديا الأبعاد المتعددة

خالد الماجري

منذ أن أطلق «الذئب في العبارة» والمخاتلة مذهبه الشعري. تخاتلك معه الكلمات فتكسر أفق انتظارك عبر مزاوجات لا يدرك سرّها إلاّه. كما تخاتلك القصيدة فترسم عوالم تتبدى لك جديدة متجددة في كلّ قراءة لنفس القصيدة حيث ينفتح نصّ يوسف رزوقة على فضاء من الاحتمالات العديدة وهذا ما سنحاول بيانه من خلال قصيدته «جمهورية بلا رأس أو حديقة أرسطو».

العنوان نفسه احتمالان، فلك أن تسمي القصيدة «جمهورية بلا رأس» ولك أن تمهرها بـ»حديقة أرسطو». العنوان الأول يضعك في سياق سياسي في حين يأخذك العنوان الثاني إلى سياق عرفاني يمثل كلاهما قراءة ممكنة، للقارئ وحده الحق في الذهاب إلى أيهما شاء.

تنفتح القصيدة على وصف مطوّل للفراغ الذي تغرق فيه الحديقة أو هي الجمهورية. ذاك الفراغ الذي إن شئت اعتبرته سمة من سمات المكان الفيزيائي أو صفة من صفات الفضاء السياسي فهو في الحالتين مرحلة تهيّء للتغيير، تنبئ بالثورة. إنه لحظة زمنية خاطفة سريعة ونادرة يعيشها المكان وهذا ما يجعل «استراحة حارسها لن تطول. ولن يتكرر هذا الفراغ الجميل غدا في حدائق أخرى».

ولعلّ ندرة اللحظة وقصرها هو ما يجعلها «شهيّة» في عين الشاعر. إنها اللحظة التي يؤهّل الوعي بها إلى الانقلاب والثورة سواء بالمعنى الوجودي أو بالمعنى السياسي. لحظة لا بدّ فيها للكائن سواء في بعده الفردي أو في بعده السياسي من «ممارسة هواياته» التي ليست إلا التغيير. فالتغيير في نظر الشاعر صفة لصيقة بالذات الإنسانية تقتلها العادة في الفرد وتقتل معها وجوده نفسه.

يقرّر الشاعر، كما قررت المجموعة في فترة من فترات تاريخ بلاده، أن يستغلّ هذه اللحظة فيعمل فيها آلة التغيير ويشعل فيها لهيب الثورة بعد أن أعلن بهاء اللحظة سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي فهي لحظة «لذيذة» وهي تسبق «العائلات السعيدة» إلى البحر، إلى العنصر الأول من حيث خرجت الكائنات زاحفة إلى الأرض وهي كذلك لحظة «عذبة» عذوبة الماء سرّ الحياة وهو يبعث في «جمجمة» الجسد

السياسي «مخا» يجعله عقلا بعد أن مرّ عليه حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا.

إنها الثورة بمعناها الحرفي الذي يحيل في الآن نفسه إلى التغيير والانطلاق إلى المجهول من ناحية وإلى العودة إلى الأصل إلى جوهر الحياة من ناحية أخرى: «ما ألذ الهدوء الذي يسبق العائلات السعيدة، هذا المساء، إلى البحر. ما أعذب الماء يجري إلى مستقرّ له نحو جمجمة دون مخّ». هكذا هي الثورة، التحام بأصل الكائن البشري، فعل طبيعيّ لا مهرب منه. وهكذا هي لحظة الثورة، هدم لكلّ ما من شأنه أن يوهمنا بالاكتمال والوصول والحال أنه نقصان وابتعاد.

الفعل جماعيّ: «سنمارس...هواياتنا».

يفتتحه الشاعر بأن يثور على المؤسسات فهو من خلال وصف ثورته على «زوجته» يحيل إلى المؤسسة الاجتماعية ومنها إلى المؤسسة السياسية عموما. يخبرنا بأنه لن يعود هذا المساء إلى «البيت»، إلى النظام القديم الذي «تشقق بعد الزواج بعشرين عاما» كما لن تعود الشعوب المحاصرة عبر المؤسسات إلى الأنظمة التي رزحت تحتها لنفس تلك المدة.

توهمك المؤسسة بالاستقرار عبر بناء «له جدران وسقف وأرضية ونوافذ» ولكنها السجن فالسجن أيضا «له جدران وسقف وأرضية ونوافذ». ولكنّ هذا الاستقرار الذي قد يجده في نهاية المطاف السجين في سجنه وهم يكشف الشاعر عن ألاعيبه عبر الحديث عن الريح التي دخلت لا من نوافذه

الموهومة بل من شقوق الباب القديم لـ»تعبث، من حيث شاء الهبوب، بمحتويات المكان».

عبر كسر النمط، عبر كسر العادة والقضاء على المؤسسة يبشّرنا الشاعر بتحوّل الفراغ إلى «تفرّغ» لأنفسنا. فالهروب من هذا العالم المنظم اجتماعيا وسياسيا هو أولى مراحل الالتقاء بالذات.

لا ينفي الشاعر ما في هذا الفعل من «مجازفة» ولكنها مجازفة محتّمة تحوّل الصحوة المزعومة سكرا «بإفراغ رأسي المنظم في كأس فودكا» كما يقول الشاعر وتجعل من السكينة المدّعاة إلى حضن زوجة مغامرة «في امرأة لا أحبّذ أسلوبها في الحياة». قد يرى القارئ أول وهلة في كلا الفعلين هروبا ولكنه عودة إلى الجوهر إلى المرأة عوض الزوجة وإلى الكشف والرؤيا عوض العقل المنظم ومبادئه. وهنا يكون الاتحاد بالأسلاف، بتلك «الجدّة» التي تشبثت بأرضها لا بما عليها، تشبثت بأصلها لا بالصورة: «ولي فيه أيضا خطى جدّتي. ما استظلّت بأرزتها تلك إلا لترحل بحرا إلى صفر مجهولها. حيث لا فيء إلا الفراغ».

»شهيّ فراغ الحديقة هذا المساء. بإمكاننا أن نموت قليلا». هكذا يعلن الشاعر انتصاره في هذه اللحظة. سيموت فيه ذلك الكائن الذي اعتاد ما اعتاده من سجن. سيموت فيه الوهم المعقلن. يموت فيه العقل الواهم. أليس الناس نياما فإذا ماتوا انتبهوا؟

بإمكان الشاعر أن ينتبه إذ سنحت اللحظة إلى وجوده الحقيقي...بإمكان الشعوب أن تستفيق من غفوتها. الموت هنا حياة جديدة يبشّر بها الشاعر كلّ من وعى بـ«فراغ الحديقة، هذا المساء». حياة جديدة مناقضة لما نظنه «حياة جديدة»: «كابوس أيامنا المتشابهة، الغش في عش عصفورة غادرتها البراءة وهي ترى اللغم يأكل من حيث لا تشتهي بيضها، كل ما صنعته الثقافة من سلع، كل شيء يعولمه أثرياء الخريطة من أجل فيلم جديد بعنوان «دراما الدمار»».

العودة إلى الذات إذن، هذه هي الثورة، هذه هي الحياة. أن نفرغ أنفسنا من كلّ ما علق بها بها من متعلّقات «الحياة». أن نموت لنحيا.

تطول القصيدة إلى هذا الحدّ مشيرة إلى مسالك الخلاص: الخلاص الفردي، الخلاص الوطني والخلاص الإنساني، في آن واحد. هي لحظة، تهيأت ليقطفها الكائن، في مغامرة هي سبيله الوحيد للالتقاء بنفسه. هي كنه ما نسميه «ثورة». وهي لحظة يأخذ الشاعر من أجلها بيد القارئ حتى يعبراها معا.

ولكن ما إن تتهيّأ الظروف لذلك حتى تهبّ رياح التراجيديا لتعصف بالمكان. ففراغ الحديقة شهيّ ولكنه ليس كذلك إلا «في شكله». تعود المؤسسة التي نكتشف أنها لم تغب أبدا إلى الظهور. يعود العقل الواهم إلى مسرح المكان فنفهم أنه لم يغادره أبدا. لا يزال هنا يترصّد أحلامنا، يترصّد جنوننا وسكرنا وقد تواطأ مع غريزة مضادة ليكبّلا جموح الكينونة. صورة

رائعة للوجود البشري يرسمها الشاعر عبر تلك العلاقة التي يقيمها بين عاشقين يحرسان الحديقة هما أرسطو رمز العقل والنظام وسيّدة «تفتح باب حديقتها لأرسطو» في إشارة إلى غريزة حب البقاء. يتحد كلاهما ليعصفا بالحقيقة. الحديقة ملكهما، وفراغها لم يكن حقيقيا. وهكذا هي لحظة الثورة، يتراجع فيها النظام القديم دون أن ينتهي. يبقى متربصا بأحلام أبنائها. وهكذا هي نهايتها: العودة إلى العقل وإلى الباه. إلى ما يجعل الإنسان مكبّلا إلى الأبد. تدعوه الحقيقة فيحلق إليها بجناحين من وهم يقودانه من جديد إلى «وضعيته الإنسانية» الممزقة.

حضور أرسطو وعشيقته وحده كان كافيا ليعصف بأحلام الثورة. هنا تنتهي القصيدة مفتوحة على احتمال واحد: العودة إلى سجن العشرين عاما. ربما هي عشرون عاما جديدة تتهيأ فيها لحظة فراغ جديدة. هكذا هي الثورة... لحظة من التراجيديا والوهم الشهي سرعان ما تتبخّر ليظهر شبحان في خلفيتها يشدان أبناءها إلى الموت من جديد وهم يعتقدون أنه الحياة.

هكذا هي قصيدة يوسف رزوقة، غوص في كنه الذات البشرية وتحليل عميق لوضعية الكائن في شتى أبعاده. مزج عميق بين الوجود الفرداني والوجود الجماعي في شتى تمظهراته. العبارة فيها ليست حمالة أوجه بالمعنى المتداول بل

هي مستويات عديدة من المعنى تتحد في جوهرها لتكشف عن وحدة عميقة لكلّ تمظهرات الحضور البشري في هذا العالم.

فالثورة المدّعاة هي تلك الحقيقة التي تعرّف الحضور البشري والتي يعجز الكائن عن بلوغها سواء كفرد أو كأمّة أو كإنسانيّة. هذه هي التراجيديا التي تعدنا قصيدة يوسف رزوقة بها في قفزة إلى فضاء شعريّ عجيب ليست إلا عودة إلى نفس الجرح الإغريقي الذي لازم البشرية مذ تخيّلت «فراغ الحديقة» ذات مساء.

«ريكامو» رواية يوسف رزوقة استفهام حول الزمكان والشخوص ورؤية للحوار بين أجناس الكتابة

حاتم النقاطي

لم يكن «يوسف رزوقة» غير مبدع كلام يحسن التنقل بين أجناسه ذلك أنه في عمله الروائي «ريكامو»[1] يشدك إلى قراءة تخرج عن مألوف القص، وعن المعلوم من التصنيف لأجناس الكتابة،ذلك أن صاحبها شاعر يهوى مراوغة انتظار القارئ فتلتبس عليه الأحداث بين حركات إيقاع الأصوات وبين حركة الشخوص وزمكانيتها، وعلاقة مخيّلها بباقي أجناس الكتابة والفنون كالشعر والرسم. «ريكامو» رواية الشاعر الرابعة التي جاء متنها في عشرين نوبة تنتقل في رحلة القص والتخيل والحفر في الذوات والأشياء لميلاد معنى أسماء الأعلام والمدن والموجودات. فأي معنى لعنوان الرواية «ريكامو»؟ وهل يمكن أن نعي هذه الرواية خارج إدراك القارئ لقيمة المتخيل في بناء الشخوص والزمكان ؟ وهل من تأويل لهذا العمل دون الانتباه لرؤية فنية تجعل منه تتمة لمشروع فني

(1) يوسف رزوقة ريكامو رواية دار زينب للنشر تونس الطبعة الأولى 2015

راهن صاحبه على الانتماء لفعل إبداعي يصالح بين الأجناس ويضمن أفق التداخل بينها ؟

في بهجة العنوان

كان القص تعبيرا عن أزمنة وأمكنة وشخوص داخل عشرين «نوبة» تتخللها عناوين داخلية مكنت القارئ من اللعب بعلب متراصة تمكنه من تفكيكها وإعادة تركيبها. أحداث اختار لها» يوسف رزوقة» باب التقطيع ليؤكد للقارئ أنه مع حداثة القص حيث تبنى الكتابة من رافدين أولهما فعل كتابتها بحيثياتها الزمكانية وشخوصها في تفاعلها مع أشياء العالم،وثانيهما قارئ يدخل لعبة النص في دلالاته المفتوحة لإعادة إنتاجه وكتابته من تجربته المتخيلة : « والحقيقة أن تأويل عمل أدبي أو غير أدبي لذاته وفي ذاته دون التخلي عنه لحظة واحدة ودون إسقاطه خارج ذاته لأمر يكاد يكون مستحيلا»[1].

إن «ريكامو» ما كان قماشا للبيع وما كان كلمة ترددها الغجريات في تونس أو في المدن الأخرى وفي القرى عند بيع الحواشي أو الاغطية أو الأفرشة أو لستر كراسي السعف وقدّ الستائر. وما كان أيضا صوتها الغجري المتناهي له من بعيد: «ريكامو ريكامو صوت الغجرية التي أسرته بجمالها وبابتسامة هي الأولى في ريف لا يبتسم....» وما كانت ذكرى : «تذكرها فاشتعلت ناره...أدنى ياسة منه بضمة من يمناه...وكانت ليلى

(1) تزفيطان طودوروف الشعرية ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة دار توبقال للنشر 1987 الطبعة الأولى ص21

بطعم الريكامو...»، بقدر ما كان «ريكامو» معنى مبحوثا عنه في المعيش: «قال شمار تحملنا أنا وأنت بصفاتنا الوراثية يا «ياسة» ألم تلاحظي ذلك ياه كم أنا سعيد....الحياة ريكامو اطرزها غرزة غرزة تكن لك في في فصل الشتاء لكنني ياياسة مع هوسي المرضي بالريكامو كما تعلمين ومن باب المفارقة لم اكن طراز زماني «. هو العنوان إعلان عن معنى مبحوث عنه في أسماء الأشياء وفي لحظات عشق شمار للجسد وفي معايشة شخوص الرواية للزمكان. هو ذاك حالات « شمار» أو ياسة»...أوهو إطلالة على خلفيات هذا العالم وايحاءاته الوجودية بالأساس. كما أن معنى العنوان ما هو بصوت الغجر ولا هو جمال الوجوه ولا قدّ العارض بقدر ما هو ذاكرة رائعة ل»شمار» ولأغلب شخوص العمل. «الريكامو» رمز حضارة وفعل شخص حكاء يحول القماش إلى ألوان وروائح وأخيلة. «الريكامو» عنوان مخاتل يجد الهوى في فعل الكتابة الحديثة وفي انقلابها على المعنى والإحالة والدلالات،فلا هو القماش ولا اللباس ولا الجسد ولا الأسماء، بل هو الكل ينصهر لينادي القراءة لتقوم بفعل

التلصيق. ريكامو «عناوين داخلية في وصف المكان ريكامو منفي» شمار» وهو الحديث عن حالة الشخوص : «ريكامو حاضر بغيابه»، «ريكامو غائب بحضوره»، رحلة في عمقها النفسي «ريكامو عقدة»، «ريكامو نار تحت الرماد»...

رواية رابعة للكاتب «يوسف رزوقة» يثبت من خلالها أنه الشاعر حتى في قصه إذ في ضرب الصورة بالصورة والتحاق الكلمة بالمعنى وتأويل القارئ لموجودها تظهر الشعرية الحقة تلك التي لا تعترف بالحواجز بين الأجناس[1]. هي « كتابة تذكرك في مدخلها «نوبة الالتفات» بأن الرواية نصوص تتعالق وتتداخل وتتناص: «حدث عبدالرحيم البستاني قال...حدث بن خلدون قال...حدث كازنتراكيس قال...وفي بوح لجلال الدين الرومي قال أيها المسافر لا تضع قلبك في أي منزل وإلا أصبحت مهموما عند الرحيل عنه».[2]

مساءلة المتخيل والأجناس الفنية

«إن ابتعاد الفنون التشكيلية عن المحاكاة والتسجيل الواقعي للشكل يسهم بشكل فاعل في إمكانية توظيف المادة التي تؤدي بدورها إلى تداخل الأجناس الفنية، باعتمادها البحث عن أشكال جمالية تتوافر فيها المغايرة والحرية من دون أي إشارات تسجيلية للواقع والبحث عن شكل جمالي فني منعزل بذاته، ليمنح تلك الفرصة في انصهار الفنون فيما بينها «[3]. عمل تصدّر مشهده الخارجي لوحة من إهداء الفنان البانامي» اوزفالدو هريرا غراهام»، تأخذك فيه صورة الغلاف ل

(1) سنوضح هذا الأمر عند حديثنا في العنوان الأخير من هذا العمل 4 ريكامو أو خطاب الرؤية وتداخل الفنون

(2) مصدر العمل ص5

(3) المملكة العربية السعودية ص 123 مدام الجميلي انفتاح النص البصري الفيصل 1439هجري كتاب الفيصل

جدل بين المرئي والمتخيل عبر سفر مقدّر حيث تعانق العين صورة متنه لتكتشف ضمن أزمنة رحلتها المدهش والعجيب والمبهم. إن «ريكامو» ليوسف رزوقة حديث سفر عبر متخيل يسائل القارئ عن ذاك المعلوم لعله يصله بالمجهول حيث اللازمكان « ثلاثتهم في شهلة اللونين «البارون موسى اكهلو» «شمار العسلي» و«أسماء الهيشري» ثلاثتهم في جنة اطرافها نار...لكل جيل جيله ولكل جيل حال»ص7

ذاك خطاب السفر شخوص تبحث عن ذاك العالم الجميل والفضاء الرحب عبر التأمل والمعايشة : «شمار» وياسة تروتسكي» وحنظلة وموسى أكهو أو موسى الرملي الملقب بالبارون وزوجته شامة... صور لمتخيل مراده معايشة الوجود. هو القص سفر في مسالك الذات ظاهرها وباطنها، تستفهم فيه الشخوص المكتوب عبر الشفوي وتستنطق عبر المقول المتخيل بحثا عن المعنى. تلك « أعلام» الرواية مختلفة الاعتقادات والمشارب والأجيال والرهانات، عجيبة الحضور، لكن الجامع بينها هو ذاك التوغل في البحث عن معنى الحياة، فيتجلى الجسد نارا تدعو الكل للتحلق حوله ويكون الزمكان سؤال الجميع. ولعل رحلة القارئ هي كوة المتخيل المشتاق للكيان «تونس واد العسل قرطاج حي التضامن..، ثنائيات تجسد الواقع والحلم، والماضي والحاضر، والممكن والمستحيل. هو الخيال رحلة تكتشف صعاب الحياة عبر قراءة تتلذذ بصناعتها لأحداث تحتاج لكشفها لعجيب وخفايا عالم القص واستفهام مدهش حول جنس العمل وحول

عجيب الأحداث حيث يلتقي القارئ مع حكايات « أسماء» أو أعلام « أو «رموز» لشخوص تستحق التحليل، لما لها من قدرة لجره للانصهار في متخيل هذا العالم المدهش للقص ولإنتاج معاني الوجود في الحياة. إن رواية الكاتب التونسي يوسف رزوقة «ريكامو» تأخذ القارئ إلى الاستفهام حول الشخوص وأزمنة العمل وأمكنته، فتنتقل به من معطى الواقع إلى المتخيل العجيب أي من المعاينة المباشرة إلى معايشة أسئلة الكيان لإنتاج لذة النص والحياة. فهل هي أزمنة العد حيث معرفة الآن والماضي والمستقبل ؟ أم هي أمكنة معلومة حيث تونس بعد ثورة الياسمين أو ترشيش أو قرطاج أو المرسى في أعماق ماضي الدلالات، أم هو النص رحلة في حوار الأجناس الأدبية وتنافذها كقدرة على محو معلوم تصنيفها وضوابطه ليصبح المتخيل هو المحدد للفني وللشخوص وللزمكان ؟

استفهام الزمكان وعجيب الشخوص

الرواية كتابة لأمكنة متداخلة الفضاءات حيث لا فاصل بين أسماء مدنها فإذ بالسرد فيها يأخذ القارئ إلى غير وجودها المعلوم.هي مدن متعددة كـ «ترشيش» تونس وادي العسل، رموز تكرر ذكرها من نوبة إلى أخرى : فهل هي مدن ما بعد الثورة أم هي مدن التاريخ برمزيتها المختلفة عن حال معيش زمكان شخوصها ؟ هي بلا شك أمكنة الرمز حيث الآن والماضي والمستقبل. هي تشبه لعبة العلب : واحدة في

واحدة وواحدة في واحدة أخرى وكلها تؤدي إلى لذة الوصول والاستيلاء على المبحوث عنه. كذلك هي الأمكنة

منفتحة على بعضها البعض لتؤسس متعة القراءة واندهاش البحث من معنى المكان. ومثلما كان المكان فضاء المخاتلة «المرسى» «واد العسل» ترشيش «سوريا»... فإن أزمنة «ريكامو» ما خالفت ذاك المبحوث عن حقيقة انتمائنا له،فمرة نحن في أزمنة بداية استقلال « تونس» ومرة أخرى في وقائع الثورة التونسية،أو نحن أمام سردية تأخذنا لحضن التاريخ حيث « قرطاج ترشيش...» هي أزمنة تنقلنا من قداسة مدن «الثورة التونسية» إلى مدن شرقية عربية رمزية هددها الإرهاب. إحالا ت تخرج عن ذاك «الانعكاس» الذي يحكم الرواية الكلاسيكية التي يكون الفعل فيها الرد المباشر عن ضغط الوقائع، ليصبح في «ريكامو» ذاك الرد الصادم المجسد في سفر عبر وجود قلق رهانه بلوغ المعنى، فـ «شمار العسلي» طالب فموظف فإطار فحالم بالتموقع في المجتمع

«رأس» يبحث عن فعل ومعنى في المجتمع الحضري و«ياسة الرملي «امرأة حلوة ومثقفة شهرت ياسة تروتسكي» تمتهن الصحافة وتؤمن بقيمة الحرية. شخوص تتفاعل في علاقاتها ببعض حتى خلنا أنفسنا بلا شخصية رئيسية أو نحن كذلك لأننا في كتابة حديثة رمزية تنتهج كسر منطقية السرد التقليدي، فكان لزاما علينا أن تغيب الوجوه حالما نستأنس

بها، لينصهر القارئ في «نوبة جديدة »ومناخات سردية بديلة في زمكان

جديد. ومثلما كان الزمكان في الرواية مخاتلا للقارئ فإن الأسماء كانت كذلك حبلى بالدلالات «فطمة بشار» «ياسة تروتسكي» «عزرائيل عزام» وو... شخوص تحركها ثنائيات اللذة والألم،الرحيل والاستقرار، الكيان والعدم، الخير والشر، الماضي والحاضر، الوهم والحقيقة. نحن مع شخوص تنخرط في التعامل مع صعاب اليومي ورمزيات الزمكان، تقيم علاقات مع العجيب حيث الجن ومطاردة المجهول وتحدي الصعاب للبحث عن الكيان وجدارة الانتماء للزمان والمكان. ولعل « واد ي العسل»هو رمز أمكنة تننفتح على مخيل قارئ يمتهن إتمام الصور وكتابة بقية المشاهد والأحداث ضمن رؤية فنية تسعى لكتابة تصالح بين الأجناس.

4 ريكامو أو خطاب الرؤية وتداخل الفنون

أ ـ خطاب الرؤية

إن رواية ريكامو تتمة لمشروع كتابة تنخرط في رؤية للإبداع سبق أن مهد لها الكاتب في أعماله « الشعرية» السابقة : «إن يوسف رزوقة في قصائد مجموعته الشعرية «أزهار ثاني أوكسيد التاريخ «2001 يؤكد للساحة الشعرية التونسية وللساحة الثقافية العربية أن النص الإنساني لا يكون إلا بالانخراط في المعيش والإيمان بالرؤية وبتداخل الفنون.

فليس من العار أن يقف الإنسان عاريا أمام تاريخه، وليس من الكفر نزع جبة الهوية واقتحام مجاهل إشكاليات الآخر. انه الجرح الذي يفتحه يوسف رزوقة في قلوبنا فيذكرنا بعجزنا أمام التاريخ وأمام ذواتنا وحاضرنا فيحاول ويحاول أن يجرنا للالتحاق بأزمنة الجغرافيا أزمنة الفضيحة «[1].

إن «يوسف رزوقة « صاحب مشروع إبداعي يستند لرؤية قيمية وفنية تعتمد الموقف من العالم ومن النص الفني لذلك سعى إلى كتابة عمله ضمن تداخل الأجناس. كما أنه صاحب رؤية تبحث في جماليات النص وماهية الفن مثلما تستند لموقف قيمي من المعيش ومن معاناة المحيط القريب والبعيد، لذلك حضرت وقائع الثورة التونسية في رواية ريكامو : «ترشسش في حالة طوارئ ومع ذلك جازفتا وشقتا الخلاء لاذتا بالفرار بعيدا بعيدا هربنا حتى بلوغ وادي العسل «[2]. ذاك هو « رزوقة « يوضح مساره ورؤاه فينفتح نثرا على ماكان أعلن عنه شعرا في مجموعته الشعرية « إعلان حالة الطوارئ 2002 من فوضى العولمة وانقلاب للقيم :

«الان أسال :

ما الحكاية أيها الملك السعيد ؟

أراك في النفق الأخيرمن الحياة

---

(1) يوسف رزوقة البستان وما جاوزه ملامح من سيرة يوسف رزوقة يراجع مقطع من نص لحاتم النقاطي ص141

(2) مصدر العمل ص14

وأنت تجلد شهرزاد...

فلا العصا انكسرت ولا أنت انتشيت...

أراك تسأل التحرر من قماش الليل، مفعولا بها..

حتى إذا فعلت وأدركها الصباح...

أدرت ظهرك عن مفاتنها إلى...

هل نمت حقا أيها الملك السعيد ؟

في المستحيل الالف نام «[1]

كتابة تجد حضنها في خرق الذائقة الفنية العربية ومعلومها وتجنيسها للتراث، باب عولمة انخرط فيه يوسف رزوقة بروح الإبداع في توقه للتغيير ولأنسنة

المعرفة والجمال والقيم. لقد سبق أن أعلن يوسف رزوقة في مداخل مناخه الشعري لمجموعته «إعلان حالة الطوارئ « بتبنى الرؤية الساخرة الناقدة من وضع الآن، فإذ هو الطامح لتأسيس «شعرية» داخل الإبداع عبر متخيل مسافر في فضاء عولمة، تتطلب موقفا من الذات والآخر والإبداع والقيم: « أيها الناجون من الآتي فكروا في المستقبل (ابن النفيس) يراقبك

(1) يوسف رزوقة إعلان حالة الطوارئ مجموعة شعرية 2001 – 2002 الأعمال الشعرية الجزء الأول الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم تونس 2003ص240

الأخ الأكبر...تخيل صورة الآنتي : حذاء وهو مطبوع على وجه إلى الأبد (جورج أورويل)» [1]

ب ـ في حوار الأجناس وتداخل الفنون

إن رواية « ريكامو « عملت على تجسيد رؤية فنية تعمل على تداخل فنون القول من رواية وشعر مع فن بصري هو الرسم، غلافها ينتمي لعالم الرسم، ومتنها يحيل للسرد، حيث الانتقال من العين إلى الأذن، أو من ذاك «الرسم» إلى «الرواية» ضمن حضور لافت للشعر والشعراء.فإذ هو منذ مدخل العمل « نوبة الالتفات « يستدعي بوحا لجلال الدين الرومي « أيها المسافر، لا تضع قلبك في أي منزل، وإلا أصبحت مهموما عند الرحيل عنه «[2]. هو فضاء السرد وعجيب عوالم شخوصه ضمن استحضار جلي لمتخيل يبحث عن قارئ جديد يصالح بين أجناس الكتابة ويسعى لتأسيس عمق التفاعل مع النص الفني. هو الإبداع لا يحترم الفواصل بين الأجناس بل هو الباحث عن خطاب الشعرية كبديل عن كل تحنيط للأدب وللفنون.

إن يوسف رزوقة في» ريكامو» يؤكد للقارئ أن الكتابة مشروع وتجارب عبر معايشة أجناسها ورؤية فنية تصالح بين الفنون وتقيم علاقة جديدة مع اللغة والصورة للتجديد في المعني وأنسنة الإبداع، كما هي موقف من العالم وأخطار واقع وسياسات العولمة.كما أنه يجعل المبدع هو البديل عن الشاعر

(1) نفس المرجع السابق ص7
(٢) مصدر العمل نوبة الالتفات ص٥

وعن الناثر وعن الرسام. فهو كما عرفه نيتشه «فيلسوف فنان» لأنه يجاهد من أجل بديل شعري غايته تعميق علاقة القارئ بالكلمات وفتح منغلق الموجود عبر اخراجه من نسيانه :

« أرض الحقيقة والقناع

رسالة أخرى بعنوان جديد.

ليس ما يرنو إليه النسر من عليائه، هو وحده كل السماء.

كتابة أخرى بمضمون جديد،

آية الإنسان أن ينسى أنه الإنسان :

أن يدع الالسلالم جانبا والأبجدية والجراح

نهاية أخرى.

.....

.....وكون آخر قيد النشوء:

حروفه تثغو الوجود :

كأن نقول على سبيل الاستعارة : أزلكان

كأن كأن نقول على سبيل الانتفاضة :حنظلان

...

كأن نقول على سبيل العين أفعى أفعوانة »[1]

(١) نفس المرجع السابق ص٨ وص٩

المصادر والمراجع

* يوسف رزوقة ريكامو رواية دار زينب للنشر طبعة أولى 2015

* يوسف رزوقة الأعمال الشعرية الجزء الأول الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم تونس الطبعة الأولى 2003

* يوسف رزوقة البستان وما جاوره ملامح من سيرة الشاعر اعداد خالد الماجري وشوقي العنيزي الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم 2003

* تزفيطان طودوروف الشعرية ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى 1987

* مدام الجميلي انفتاح النص البصري كتاب الفيصل الرياض المملكة العربية السعودية 1439 هجري

حاتم النقاطي

جامعي وكاتب

ضمن التجربة الشعرية ليوسف رزوقة :

الشاعر يعلن حالة الطوارئ...لحظة شعرية تُسائل تداعيات 11 سبتمبر

شمس الدين العوني

* الكتاب : إعلان حالة الطوارئ
* الشاعر : يوسف رزوقة
* الناشر : خاص
* الطبعة : الأولى تونس 2002

تعددت اصدارات الشاعر والروائي والكاتب يوسف رزوقة منذ ديوانه الأول « **أمتاز عليك بأحزاني**» **سنة** 1978 وفق نظرته المخصوصة لفعل الكتابة الابداعية حيث الشعر لديه والسرد كذالك مجال قول بالذات واعتمالاته تجاه الأنا والآخر في كون مربك يحتاج فيما يحتاج ارسال الذئب في العبارة وهي عبارته الشهيرة اذ الكتابة عنده ضرب من نظر الانا الثاقب وهي تجترح لحبرها عوالم تصلح لكائنات هشة بالشعر تبرأ وبالكلمات تسلم...و لكن..هل يسلم هذا العالم اذ تطير البرتقالة ويعوي الذئب...و تنتظم الحفلة الكونية على آخر أنعوقة للغراب...هو الشاعر يرى الامور هكذا على نحو

يجعله منهمكا في رقصه الباذخ...«سأراقصني في الظلام...». تجربة ثرية في الشعر والكتابة من عناوينها «حاء لسيدة الحلال..حاء لسيدة الحرام..» ذات مربد ثمانيني ما جعل الشاعر جوالا في الكلمات يدعو لها ملامحه وجنونه وخروجه الدؤوب عن السائد والمعتاد..صوته يشبهه وقصيدته كذالك يذهب بالحروف شعرا وسردا إلى مناطق غير مطمئنة وآمنة ليكتب وكأنه « يستل خنجرا ليغمده في قفاه..».

في حوار مهم مع اسماعيل الفقيه ببيروت بتاريخ 03فيفري من سنة 2018 في مجلة « لها «

و حوابا عن سؤال فحواه « تكتب الحزن والفرح، لكنّ الحزن يبدو أقوى في نصّك، لماذا؟..» يقول يوسف رزوقة مجيبا كالتالي «..أوّل ديوان لي مهرته بـ»أمتاز عليك بأحزاني» عام 1978... نظرت فيه إلى الحزن ومشتقّاته، ثمّ تلته مرحلة «الكتابة المبتهجة»، ففي إزاء انفجار المسافات، المفاهيم والمصطلحات واتساع رقعة الحريق في الذاكرة (قلق، ضغط، إحساس فاجع بانقراض السلالة أو بانتفاء الدور، إلى غير ذلك)، فإن المرحلة اقتضت مني التنظير لتحقيق مناعة الحضور لمواجهة شتى الضغوط الحافّة بالنص أو بصاحبه، عبر التسلح الدائم، ولو في أشد المواقف خسراناً أو انكساراً، بالروح الانتصارية، العالية والتزام الكتابة المبتهجة مع الوعي الاستثنائي بشائكية الواقع الحضيضي، المتقلّب والمنفجر: قطعاً مع خطابات النكسة وأيديولوجيا البكاء. لكن مع فقدان

الزوجة والبنت وشيء من قداسة الوطن، عدت إلى ما كنت عليه من همّ عظيم، أكتبه ويكتبني كمتنفّس لي في عالم متدهور، ملتاث وضنين...».

في هذه السياقات من التجربة في الكتابة والحياة كانت صدمة العالم ذات سبتمبر ونعني سبتمبر 2001 حيث سقوط البرجين وما تبع ذلك من تداعيات.. وهنا صدر ديوانه الشعري الجديد وعنوانه « إعلان حالة الطوارئ « وذلك بعد عدد من المؤلفات الشعرية والأدبية الأخرى ومنها الكتاب الشعري بعنوان « أزهار ثاني أوكسيد التاريخ»عن دار تبْر الزمان. هذا الكتاب الشعري خرج فيه الشاعر إلى طور ابداعي آخر وهو مساءلة اللحظة الراهنة بتبدّلاتها الغريبة والمربكة وكذلك ما خلّفته من حالات درامية انخطف أثناءها هذا الكائن الإنسان بشيء من الذهول والدهشة وبذلك سعى الشاعر إلى ارباك الزمن الحضاري الذي يعيشه خروجا عن المألوف والعادي الذي جعل الناس ينهمرون في هذا السقوط المريع.. سقوط القيم سقوط الحالة (الأوريجنالية) الأصلية. غلاف الكتاب الأمامي به لوحة من أمتع ما أبدع الفنان محمد العايب حيث سهول شمال غرب تونس بحر من الاخضرار، إنه الأمل والخصب وتوق الإنسان للحياة.. ثم لوحة أخرى لرومان أوبالكا حيث الأرقام المفتوحة والمنثورة إلى اللانهاية وصولا إلى النفاذة المقحمة في الفضاء نفسه وهي صورة كما يقول الشاعر مع حصاد هذا الزمان، كائن مثل كائنات أخرى يسقط من علوّه.. بل يلوذ بأرض في هالة من الرعب المفتوح مخلفا

فوقه كنز ونجوم السماء.. إنه الانتهاء المريع والسقوط الملغم. ملغمة قرية الطائرين نياما / أفكك شفرة ما يحدث الآن/ أعلن حالة الطوارئ.. هذا هو إذن كتاب الشاعر.. بحدسه العيني على كائنات الكون وهي ترقص بفعل الكلمات.. قد تكون للأخ الأكبر الذي اعتلى سرة الوقت باسم العراء لكن الشاعر في هذه القصائد الممتدة على سنة كاملة هي سنة ما بعد أحداث 11 سبتمبر سعى إلى تمثل مختلف الصور ودلالاتها الجمالية بشيء من فداحة الاحساس واللذة أيضا.. الاحساس بأهمية الانتباه للسقوط وما سيحدث واللذة المتأتية من سذاجة الكائن الذي تحول إلى رقم بل إلى صورة من أسمى درجات الذل..

«...**أيها الناجون من الآتي : فكّروا في المستقبل وهي لابن النفيس ويراقبك الأخ الأكبر.. تخيّل صورة الآتي، حذاء وهو مطبوع على وجه إلى الأبد. أرض الحقيقة والقناع/ رسالة أخرى بعنوان جديد. أتهجى الأرض ومعجمها هذه الأرض المشقوقة أرملة حبلى بغد الغازي المتفرعن، حاميها وحراميها.. لا غرب ولا شرق، انفجر المضروب على يده وانهال على غده.. وعلى الشفتين تيبست الكلمة.. للأخ الأكبر عين.. همّها الأكبر: فرض اليد والنّار.. رقصة للتلاشي هي خاتمة الكتاب المفتوحة أبدا كعين الشاعر السعيد بحزنه حيث نخاع الخرائط والشمس المشرقة في صحراء العينين..**»

إن لغة الشاعر يوسف رزوقة مرهفة في تركيبها وكذلك مربكة في ما تحدثه من بناء درامي يدخلنا إليه الشاعر بل يقحمنا فيها طوعا وكرها على نحو يدعو للتلاشي والضحك

والعود إلى أصل الأشياء.. الطارئة مثلا هناك في أرض الروح الطفولة حيث كان العالم رتيبا في إيقاعه بعيدا عن تدنيس العين والوجه وليس بهذا الشكل على الأقل. رقصة الشاعر المنتشي بآلام يصفها الإنسان.. هناك أصوات منبعثة تسمعها وأنت تغوص في إعلان.. هناك عالم آخر تتخيله بل تعيشه بمجرد الانصهار.

إن لحظة السقوط المريع من أمرّ اللحظات وهي في الحقيقة حالة وحقبة عنوانها الانهيار حيث عمد الكائن إلى العمل على تحويل الكون إلى قرية أزرار ومتحف مهجور في الآن نفسه من أجل أسر الكائن الآخر وجلبه إلى أرض القناع حتى تبقى أرض الحقيقة يبابا..

ما معنى أن يتفرعن الكائن ويفرض اليد والنار ثم لا يلبث أن يسقط بفعل خياله الخصب هكذا من علو شاهق ليس تسلية أو استعراضا بل هروبا.. هروب من ماذا.. من سقوط آخر.. كل هذا بسرعة فائقة وساخرة أيضا حيث يسقط الإنسان أمام أرقامه التي سطر وهو يضعها ويحصيها.. الارتطام.. وهكذا أيضا يعمل الشاعر يوسف رزوقة على أن يرتطم الجميع بأرض الحقيقة ليعود الإنسان إلى جسده الناعم وألوانه الخضراء ويسقط بالتالي الحالمون بالنار.. بشفافية شعرية عالية وانسياب درامي مؤلم وبحث مسترسل عن معان قد يفضي إليها كل نص في هذا الاعلان.. يمجّد الشاعر يوسف رزوقة في سخرية أخرى غير ملفتة أحيانا «فرعنة « الكائن الإنساني

الخاوية التي لن تفضي إلا إلى متاهة موحشة غير منتهية مثل أرقام رومان أوبالكا.. لحظة حاسمة يلتقي خلالها الشاعر بعصره وقراءة وشهادة وكذلك استباق لترميم ما يمكن ترميمه في معمار العقل البشري الذي صنع الأخ الأكبر.. في غفلة من أبراج البهجة والتاريخ.

جدليّة الرّؤية والرّؤيا بين المتصوّر النقديّ والمتخيّل الشّعري

شعر يوسف رزوقة نموذجا

الحبيب المبروك

لئن اهتمّ النّقاد بتجربة يوسف رزوقة الشعريّة منذ ديوانه البكر «أمتاز عليك بأحزاني» (1979) ويمّموا جهة أشعاره يتدبّرون خصائصها الجماليّة ومواطن الجدّة فيها فإنّهم قد انصرفوا عن مواقفه النقديّة ورؤيته الفنية إلى الشّعر لغةً ووظيفة وإلى الشاعر من حيث ثقافتُهُ وصلتُهُ بالعصر الذي حالت فيه القيم حتى غدا الشعر مُنبتّا عن «الهنا والآن» عاجزًا عن قول الكيان.

وتأسيسا عليه ارتأينا الوقوف على مقوّمات هذه الرّؤية النقديّة ومتصوّرات صاحبها عن شعر الحداثة وجوهر الحداثة في الشعر من خلال مقالات نشرها في الصّحف والدّوريات وحوارات اجراها تشفّ عن طرحه الجماليّ. وإلى ذلك نسعى إلى استقراء «فكره النّقديّ» من داخل مدوّنته الشعريّة حيث يغدو الشاعر في شعره ناقدًا يضبط جوهر الشعر ويصنّف القصائد ويرصد وظائفها.

وهذه المسألة الموسومة بالشّعر على الشّعر» قد تمكّننا من إدراك مدى قدرة يوسف رزوقة على إبداع قصيدة تعي ذاتها ويتجلّى فيها «الفكر المُغَنّى» سبيلا إلى إنشاء نصٍ مختلف جديد يزعزع السّائد ويفتّح للقصيدة افاقا إبداعيّة قِوامها التَجاوز.

1 - يوسف رزوقة في خطابه النّقديّ: عن مأزق الشعر ومِحْنَة الشاعر

يُطالعنا «يوسف» النّاقد في شهادةٍ له وسمها ب « قصيدة الهنا والآن، القماش والدّانتيلّا» صوتا رافضا لما آلت إليه القصيدة العربية من وهنٍ وتكلّس. فهي منذورة للتّيه والتلاشي بسبب استلابها وغربتها عن راهنيّة اللّحظة ومتغيّرات الزّمن في بُعده الانطولوجي.

يقول « السّائد هذا الذي نراه في قصائد لا تنتمي إلى راهنها وإن أوهمتنا بذلك شكلا أو في قصائد تمجّد **النيكروفيليا** ولا تكتب إلاّ الموت ومُشتقاته لتجيء هُلاميّة رَجرَاجةً باهتةً لا تحمل من ملامح عصرها إلاّ تسمية مغلوطةً»

إنّ القصيدة العربيّة عند يوسف رزوقة ميّالة إلى عشق الموت وكتابته ومحاكاة الجثث. في ظاهرها تتّخذ شكلا حداثيّا مُخاتلا مُوهمَا بالانخراط في العصر ولكنّها محكومة برؤية إلى العالم تقليدية لا تنفذ إلى الأعماق وتعجز عن استكناه البواطن. وندرك من خلال الشّاهد أنّ يوسف رزوقة

يُرجع مأزق القصيدة العربية إلى غياب الرّؤية وانحسارها في تصوّر سطحيّ الحداثةُ عندهُ مجرّدُ شكل يوهم بالفَرادة ولغة تَعدل عن القديم ولكنّها بالإيغال في النّثريّة واعتماد لغة خلوٍ من الإطراف والنّحت والتشقيق تَسقُطُ في فَجاجة التجربة وزائف التجريب.

تفضي هذه القراءة النقدية بالكاتب إلى التّصنيف والتقويم إذ يعتبر أنّ أفق النّص الشعري السّائد ضيّقة لا تَتَقحَّم عوالم التجديد والمغامرة.

«ما نكتبه لا يبدو طموحا بما يكفي ولا يبدو جديدا بما يكفي ولا يبدو منسجما مع عصره ذي الإيقاع المتسارع بما يكفي»

ولعلّ هذا الموقف النقدي الصّارم يُعْزى إلى تصوّر الكاتب لوظيفة الشعر. فهو عنده وسيلة إلى الكاترسيس لا بالمعنى الذي ضبطه أرسطو في «فنّ الشعر « ومفاده تطهير الجمهور تطهيرا يحرّك العواطف ويغيّب الوعي وإنّما هو تطهير الذات المبدعة تحَلُّلا من إكراهات الخلق ومُكبّلات الانشاء الجديد.

والذي لا يخفى في خطاب يوسف رزوقة النّاظر في الشعر العربي المعاصر ضِيقُه بهذه النّصوص الكثيرة التي تَرفُل في طقوس الغياب إلى حدٍ يجعل القارئ نافِرا عاجزا عن الإسهام في إنتاج المعنى واستقراء الدّلالات والعلامات. وللمتقبّل في تقديره دورٌ مهمٌّ في بناء مقروئيّة النّصّ إلذاذا وإفادة.

إنّ الكتابة الشّعرية، متى حصحصنا لغة يوسف رزوقة النقدية ومعجمه الحاضر في ثنايا خطابه منذ أواسط الثّمانينات، سفر

ومغامرة وقفزٌ في المجهول يهفو إلى المستحيل وينفذ إلى جواهر الأشياء ودقائقها التي لا تبصرها غيرالعين الشاعرة المندمجة في أسرار الوجود.

«الكتابة سفرٌ في الغربة وفي المستحيل تلتبس بالأمكنة المختلفة امتلاءً بالعالم وبتفاصيل الأشياء»

وهذه من أهم أركان الحداثة في الشعر الدي تمكّنه من الإنخراط في العالم أنطولوجيّا وترسم معالم «قصيدة الهنا والآن» ذات الجذور الفلسفيّة الهايدغريّة.

إنها القصيدة التي تُنقِذ الإنسان من خطر «نسيان الكينونة / الوجود» وتقاوم الفكر الأداتي وتوحّش العولمة وتصمد أمام ثقافة المسخ وصحراء اللاّمعنى. وهذا الضّرب من القصائد الذي يسعى الكاتب إلى التأسيس له والدّعوة إلى نحت جماليّاته يُحْوِج في تقديره إلى ثقافة دَأْبُها التجدّد يأخد بها الشّاعر ولغة منحوتة من عجينة العصر يرفع بها عماد النّص بنيانًا مرصوصًا:

أما مواصفات الشاعر الحداثيّ حقًا لا زيفًا ان يتوفّر على «حسّ موسوعيّ عارم» وأن يتمثل الرّصيد المعرفيّ والتقنيّ الضخم لزمن العولمة. وهذه الثقافة مغيّبة عن الشعراء الذين لا يلتفتون إلى قراءة الكتب العلميّة ومجلاّت الموضة والرّسوم وما تجود به الشبكات العنكبوتيّة ووسائل الاتصال وتطبيقاتها التي تكاد تكون عجائبيّة.

جوهر الشعر لدُنْه هو أن تنطق بروح العصر ولهذا لا بدّ أن تُغنِي هذه الرّوافد المتشابكة ذاكرته الشعريّة وفكره اللّغوي.

وههُنا النُّكتة، ونعني مسألة اللّغة التي يُعِيرها يوسف رزوقة اهتماما كبيرا. فقصيدة «الهنا والآن» التي يُروّج لها ويسعى منذ ما يربو على الأربعة عقود إلى بيان مقوّماتها الجماليّة وأبعادها الدّلاليّة لا تكون إلاّ «بلغةٍ مُنفجرة لا تُهادِن. تُخاتل القارئ وترسل «الذئب في العبارة» وترتحل به إلى مسارات الرّعب والسّؤال.

هكذا نتبيّن ألاّ حداثة في الشّعر دون «الذئب في العبارة» وهذا التّصوّر يمثل الخيط الجامع لفكر يوسف رزوقة النّقدي الذي تجلّى شعريّا على إمتداد أطوار تجربته الفنية من «الذئب في العبارة (1998) إلى «الذئب وما أخفى»(2017)

و لا يفوتنا في مقام هذه الإطلالة القصيرة على مواقف الكاتب النقدية أن نُنبّه إلى ما طرأ على تصوّره لوظيفة الشعر من تبدّل يعود في تقديرنا إلى عمق المتغيّرات ووطأة زمن النّهايات والانهيارات: نهاية زمن الشعر وموت المثقف ونهاية التاريخ وما بعد الإنسان. صار الشّعر مجازًا إلى اللّعب غاية النّسيان ومواجهة القَرَف. يصرّح الكاتب في مقدّمة ديوان «الذئب وما أخفى» (2017) بما يلي

«الآن لن نحتاج إلى عقار آخر. نحن كبرنا أكثر مما يلزم. يلزمنا لنعيش قليلا شيء آخر يُنسينا ما نحن عليه وفيه من اشمئزاز. فلْنلعبْ. هيا نلْعبْ»

لم يعد للشّعر من دور غير اللّعب في مدينة الدّستوبيا ونعيق الغربان في عالم السّواد والعَتمة. يُصبح القول الشّعري ملاذًا للنسيان. وكأنّنا بيوسف رزوقة يستبطن اللّحظة الأرسطيّة عبر الكاترسيس الذي يجعل الفرد غارقا في عالم النّسيان والإيهام. ومن جهة أخرى يسترفد «غاداميرا» الذي يرى الأدب لعبًا.

إنّ اللّعب عند غادامير فنّ المخاتلة والمراوغة والإيحاء والإخفاء ومَغْنَى التكرار أما اللّعب عند يوسف رزوقة فصرخةٌ في وجه «الأخ الأكبر» ومناوأة للغربان.

والمُجتَنَى أنّ يوسف رزوقة الذي عهدناه شاعرًا يُرسل في ثنيات الكلام الشّعري الذئب نُلْفِيه في هذا المقام ناقدا صاحب مشروع جماليّ ينبني على طرح فكريّ نراه عميقاً متفرّدًا. ولا ريب أنّه يكشف عن وعي أصيل بأنّ الشعر ليس مجرد تعبيرة فنّية جماليّة وإنّما هو في صلة متينة بروح العصر وجوهر الزّمن وأنطولوجيا الذّات وبوّابة إلى العالم. فيتبنّى موقفا متمرّدا على السّائد ويهفو إلى بديل حداثيّ لا يركن إلى وهم الّتحديث الشكلاني الزائف. ويدعو إلى لغة جديدة تتشرّب روح اللّحظة حتّى تكون راهنيّةً قادرة على تغيير العالم واسترجاع إنسانيّة الإنسان وتشكيل نصّ متجاوز يكسر الطّوقين: طوق التقليد ومشاكلة الموتى وطوق الحداثة المزيّفة التي تجري على المناويل دون وعيٍ.

ومن هنا تنبثق فكرة الشكل –المضمون التي سنعمل على الاشتغال عليها في القسم الثاني من المقال.

2 - قصيدة «الشكل -المضمون» في شعر يوسف رزوقة

و أنت تقرأ للشّاعر أشعارهُ مُنجّمَةً أو مؤلفةَ مجتمِعةً تستوقفك أسطرٌ يستوي فيها الإخبارعن الشعر بالشّعر داخل بوتقة الشعر. ذلك أنّ الشاعر على هذا النّحو يغدو بمرتبة النّاقد الذي يتولّى رصد واقع القصيدة العربيّة البائس حيث استحالت عاريةً من الحداثة تعصف بها الألفية الثالثة فتكابد تراجيديا الغياب

«في مطلع القرن: الفضيحة ما أقول

وما أُضيف

حتّى القصيدة من حداتتها خلت

فُجِعَت حداثتها

فلم تَرِدِ» أزهار ثاني أوكسيد التاريخ ص 67

ينتظم الخطاب الخبريّ عملٌ لُغويٌّ يقرّ ما نال القصيدة العربيّة من وهنٍ ونُكُوسٍ بعد أوهامٍ كُبرى وتجارب غير قليلة آلت إلى الانكفاء. وإذا صدرَ الدّيوان «أزهار ثاني أوكسيدالتّاريخ» في بداية الألفيّة فإن الخطاب فيه يستدعي من وراء حجاب خيبة الحداثة المُنكسرة التي أصابت حقل الأدب مثلما طالت بُنى المجتمع ومشاريع المستقبل.

و متى يمّمنا شطر الدّيوان الأحدث «الذّئب وما أخفى» أصغينا إلى صوت يحكي موت الشّعر في زمن النّهايات.

فالشّاعر يلتفت إلى منزلة هذا الفنّ العريق في عصر الديجيتال والذكاء الإصطناعي في نبرة لا تخلو من أسًى وفي خطاب تحكمه غنائيّة الفَنَاء

« زمن الشّعر انتهى

ليس غريبا أن ترى الشعر غريبا

ساقطًا من قمّةٍ فيه

إلى سفح الهُنا والآن» (الذئب وما أخفى)

و هُنا يتّخذ الشّاعر صوت المؤرّخ المهتم بتاريخ الأشكال الفنيّة غير أنّ الأخبار لا يُخفي تلك الذّاتيّة التي يرشح بها فعل التّلفّظ حتّى أنّ الشاعر وسم قصيدته ب»فَلْيرحل الشعر إذا» لا إقرارًا بالفشل في الإقامة الشعرية داخل العالم ولا اتّباعا للموجة العارمة السّاخرة من الشعر وأفذاذ الشعراء بل هي مُحَاكاة ساخرة لهذا الصّوت الذي يُروّج لعمى الجهل وموت الإنسان.

بل إنّ الموقف النّقدي يجلو في «فساد أرض المجاز» حيث الإخبار عن الجُرذان التي وسمها الشّاعر بعبارات تنتمي إلى حقل معجميّ مداره العنف والتّدمير «غزت أرض المجاز – أفسدتها تحتلّ».

وتعزّز المعجمَ استعارةٌ مكنيّة تُقارب بين صورة الشعراء المزيّفين والجُرذان مقاربة تخلع عليهم معاني القُبح والقذارة

والزّيف. ولكنّ الشاعر وهو يرصد يتألّم ويُندِّدُ من خلال الإستفهام البلاغيّ «تتقافز الجرذان – هل جُنّت؟»

يتلبّس الخطاب النّقدي ثوب الشّعر توقيعًا وتصويرًا فيستحيل الفكر مُغنّى والمعنى مُوَقّعا.

ولكنّ يوسف رزوقة صاحب الطّرح النقدي في خطاب الشعر المحمول على الرّؤيا لا يكتفي برصد منزلة الشّعر والشّاعر وإنّما يعرض في لغة تقريريّة ألصق بمقام التّعريف والحدّ:

« ثمّ إنّ الكتابة في مثل هذا الهدوء

التجاء إلى كل ما هو قتلٌ.

إذن ينبغي قتل هذا الفراغ» بلاد ما بين اليدين ص46

و الجليّ أنّ أدوات التّقرير والوصل والاستنتاج تتضافر في تشكيل خطاب استدلاليّ يستدعي من القارئ ربط المقدّمات بالنتائج وهو ما يجعل الذّائقة مشدودة في هذا السّياق إلى اليّات العقل ومنطق الحجاج.

هذا باب في الشعر على الشعر يخرج فيه صوت الشاعر على منوال النّاقد الذي يُخبر عن جوهر الشعر ووظيفته ويكشف منزلة الشاعر ويستقرئ علاقة الشعر بالعصر. ولكن ثمّة باب آخر أعمق وهو اعلق بالقصيدة تعي ذاتها لحظة تشكّلها. ومعنى ذلك أنّها وهي تتخلّق نصّا إبداعيّا ترفع الإهاب عن

مسارها وأطوار تكوينها فتصبح حركتها دالا يحمل المدلول وينتج الدلالة التي تمنح القارئ القدرة على استكناه ابعادها.

ننطلق في استجلاء تعالق الشكل بالمضمون من نموذجين نعتبرهما من النصوص-المعالم في مدوّنة يوسف رزوقة الشعرية:

امّا الأول فمن « أزهار ثاني أوكسيد التاريخ» وفيه يشفّ الشعر الملفوف في خطاب سرديّ عن رحلة الذات المبدعة وهي تعجن اللغة تشكيلا وتطويعا وعن هجرة اللغة من معاجم الغابرين وصراعها في فضائها الجديد حتى تكون في هيئة جديدة «اهيمُ وَبِي قلقٌ

أتسلّل إلى معجم الغابرين

[...] أنثُرها [الحروف] خارج القبو

[...] تدكُّ الفضاء الجديد بأجنحة عنكبوتية «

فالقصيدة تحاكي مخاض الخلق مسارا ومألا فيكون الإبداع على الابداع وتبوح القصيدة على لسانها بمنطق بنيانها. وهذا المنجز الشعري من وجوه الافتنان التي تتفرّد به القلّة من الشعراء.

و تنجلي الفرادة في قصيدة «ابستيّمية الخروج» التي شغلت الدنيا وأقلقت النّقّاد. وقد تأسس الخروج فيها مبنى من التَّفعيلة في البداية

«يدقّ الجواد البربريّ قصيدة

هنا الان

لكن القصيدة أجفلت»

إلى النّثر في القسم الأخير «وعليه[الجواد]

وعليه من الان فَصَ/ هِيلا

ان يقّر عينا

وان يواصل رعي ما بين قائمتيه

الاماميّتين»

وشاكل المبنى المعنى فتشابكا في جماليّة أُلفة وتماهٍ لا تنفصم عراه حتى لكأنّ القصيدة بِبِنيتها وإيقاعها وتصاويرها علامة على روح التّمرّد والتّوق إلى النّصّ الجديد المُختلف النابع من نبض الحداثة وهذه مغامرة تعود إلى بداية الألفيّة.

على سبيل الخاتمة:

يوسف رزوقة في خطابه النقدي حامل أُطروحة ترى الشعر فِعلَ وجودٍ وممارسةً فنّيةً مُغامرة تطرق باب المستحيل ولغة مُخَاتِلة تذهب بعيدا في استصفاء روح العصر واسترفاد مُسْتحدثاته بحثا عن حداثة التجاوز وطلبا للـ«طّريق الثالث».

غير أنّ المتوجّس من « الذئب وما أخفى» عَادَ يرَى الشعر لعبًا للنّسيان. وأمّا قصيدته فتحمل وعيًا بذاتها ارتقى بها إلى ذُرَى الجّماليّة وقدّمت نموذجا لحداثة قد تكون السّبيل إلى تشقيق طرق أخرى جديدة لمسارات الشعر العربي.

و يبقى صوت يوسف رزوقة داعية إلى النور والوعي ومواجهة أزمنة الموت والنهايات في العتمة التي حاقت بالرؤية كما يقول. وفي رؤياه الشّعريّة وميض من النّور لا رَيْبَ.

مقتطفات من أعمال
يوسف روزقة

يوسف رزوقة

سرّ القمر الأخضر

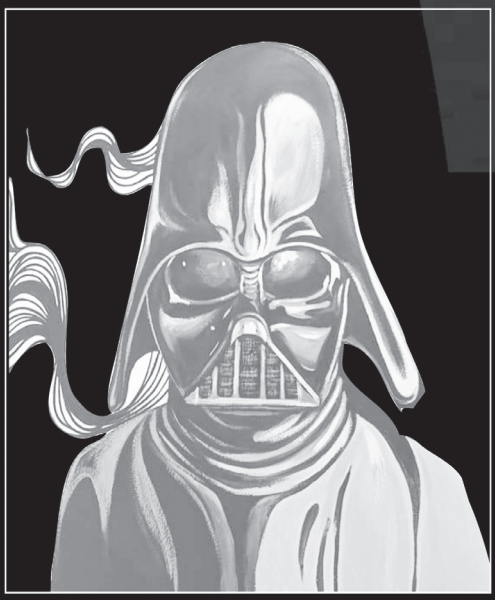

رواية لليافعين

زينب للنشر

العَيْنُ الأُولَى

رِوَايَةُ التَّدْرِيجِ القِرَائِيِّ كُتِبَتْ، تَقْدِيرًا، لِثَلَاثِ فِئَاتٍ مِنَ اليَافِعِينَ لِتُقْرَأَ بِالتَّدَرُّجِ عُمْرِيًّا: عَيْنًا، عَيْنَيْنِ فَعَيْنًا: هُنَا، الفِئَةُ العُمْرِيَّةُ المُسْتَهْدَفَةُ: بَيْنَ 18 و15 سَنَةً.

مَطْمَاطَةُ مَدِينَةٌ تُونُسِيَّةٌ تُوجَدُ، بِكَامِلِهَا، تَحْتَ الأَرْضِ؛ فِيهَا يَعِيشُ ، بَيْنَ سُكَّانِهَا الأَصْلِيِّينَ، أَطْفَالٌ جَاؤُوا مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ؛ هُمْ أَطْفَالٌ لَيْسُوا كَكُلِّ الأَطْفَالِ؛ هُمْ «أَطْفَالُ القَمَرِ»؛ حِكَايَتُهُمْ طَوِيلَةٌ وَمُثِيرَةٌ؛ هُنَا، فِي هذِهِ الرِّوايَة، تَفَاصِيلُهَا

هِيَ فَدْوَى، بِنْتُ عَشْرٍ وثلاث، سَمْرَاءُ بِوَجْهٍ دَائِرِيٍّ وَعَيْنَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ؛ وَهْوَ يُسْرِي، يَكْبُرُهَا قَلِيلاً، ذُو وَجْهٍ يَشُوبُهُ نَمَشٌ، شَعْرُهُ خَرُّوبِيٌّ وَعَيْنَاهُ ضَيِّقَتَانِ وَيُسْرِي؛ ذُو أَنْفٍ يُشْبِهُ مِنْقَارَ العُصْفُورِ، لِذَلِكَ هُوَ يُكَنَّى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ بِكَنَارِي، كُنْيَتُهُ تِلْكَ، اِسْتَلْطَفَهَا فَتَكَيَّفَ، مِنْ ثَمَّ، مَعَهَا.

قَالَتْ فَدْوَى:* الطَّقْسُ جَمِيلٌ، تَعَالَ نَلْعَبْ؛ لَكِنَّ يُسْرِي تَهَرَّبَ مِنْهَا وَهْوَ عَلَى وَشَكِ البُكَاءِ: ـ مَامَا تُعَاقِبُنِي لَوْ فَعَلْتُ، لاَ أُغَادِرُ بَيْتِي إِلاَّ لَيْلاً؛ قَدَرُنَا، نَحْنُ أَطْفَالُ القَمَرِ، أَنْ نَتَفَادَى الشَّمْسَ حَتَّى لاَ نَمُوتَ.

اِرْتَسَمَتْ عَلاَمَاتُ الدَّهْشَةِ عَلَى وَجْهِ فَدْوَى، جَارَتِهِ الصَّغِيرَةِ؛ لَمْ يَمْضِ سِوَى أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ عَلَى حُلُولِهَا وَعَائِلَتَهَا بِمَدِينَةِ قَابُسَ حَيْثُ يُقِيمُ يُسْرِي وَعَائِلَتُهُ مُنْذُ سِنِينَ؛ سَأَلَتْهُ فَدْوَى:* مَاذَا تَعْنِي بِأَطْفَالِ القَمَرِ؟

فَأَجَابَهَا يُسْرِي بِدَوْرِهِ بِسُؤَالٍ: ـ أَلاَ تَعْلَمِينَ؟ لِيُضِيفَ ـ وَهْوَ يُدَارِي خَجَلَهُ الشَّدِيدَ بِالتَّهَرُّبِ مِنْ الجَوَابِ كَأَنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَخْسَرَ،

فِي أَوّلِ تَعَارُفٍ لَهُمَا، صَدَاقَتَهَا ـ: ـ تَعَالَيْ، سَأُرِيكِ رُسُومِي الجَدِيدَةَ، أَنَا مُغْرَمٌ بِالرَّسْمِ وَأَنْتِ؟

* أَنَا أَيْضًا

وَرَافَقَتْهُ عَنْ طِيبِ خَاطِرٍ إِلَى مَرْسَمِهِ الصَّغِيرِ وَكَانَ يُسْرِي ـ وَهْوَ يَتَقَدَّمُهَا ـ سَعِيدًا وَلاَ يَكَادُ يُصَدِّقُ أَنَّهُ أَخِيرًا وَجَدَ مَنْ يُصْغِي إِلَيْهِ وَيُقَاسِمُهُ حُلْمَهُ وَوِحْدَتَهُ.

* يَاااهْ! جَمِيلَةٌ رُسُومُكَ يَا يُسْرِي، لَكِنْ مَا هَذِهِ الشَّمْسُ؟ تَبْدُو مُخِيفَةً ، شَمْسٌ تُكَشِّرُ عَنْ نُيُوبِهَا ! ... عَلَّقَتْ فَدْوَى وَهْيَ تَتَأَمَّلُ مَا رَسَمَهُ صَدِيقُهَا الجَدِيدُ لَوْحَةً، لَوْحَةً وَبَيْنَ تَعْلِيقٍ وَآخَرَ، أَحسَّ يُسْرِي بِشَيْءٍ جَمِيلٍ جَعَلَهُ يَنُطُّ فَرَحًا حَتَّى أَنَّ أُمَّهُ حُبارَى اِبْتَسَمَتْ لِفَدْوَى وَكَأَنَّهَا تَشْكُرُهَا عَلَى فَضْلٍ عَظِيمٍ.

في صِيَاغَة المُسْتَقْبَلِ : نَحْوَ طِفْلٍ يَدُهُ فِي غَدِهِ

المَشْرُوعُ

يوسف رزوقة

زينب للنشر
تونس 2021

خَوَارِزْمِيَّةُ طِفْلِ رِيَاضِيّ

أَنَا طِفْلٌ فهَلْ أَبْدُو طُفُولِيًّا؟

أَلَمْ تَرَ أَنَّ لِي صُنْعًا بُطُولِيًّا؟

صَنَعْتُ هُنَا خَوَارِزْمِيَّتِي وَبِهَا..

أَشُقُّ البَحْرَ عَرْضِيًّا وطُولِيًّا

أَعِي عَصْرِي بِكُلِّ خَلِيَّةٍ مِنِّي

وَيَكْفِي أَنَّ لِي نَظَرًا شُمُولِيًّا

فَلِي فِي كُلِّ حَقْلٍ بَرْمَجِيَّاتِي

يَدِي تَجْرِي مَعَ الحَاسُوبِ آلِيًّا

وَلِي عَقْلٌ يُبَرْمِجُنِي رِيَاضِيًّا

وَلِي قَلْبٌ يُبَرْمِجُنِي خَيَالِيًّا

فَهَلْ أَنِّي الخَوَارِزْمِيُّ أَمْ طِفْلٌ

طَغَى فِي عَصْرِهِ: طِفْلاً مِثَالِيًّا؟

..الطِّفْلُ الكَاتِبُ

الطِّفْلُ الكَاتِبُ يَعْلَمُ عَالَمَهُ

وَلِذَا يَرْقَى بِالعِلْمِ سَلاَلِمَهُ

وَيَرَى الأَشْيَاءَ بِمِجْهَرِهِ

وَيَرَى مِنْ ثَمَّ عَوَالِمَهُ

وعَوَالِمُهُ شَتَّى وَلَهُ..

أُخْتٌ صُغْرَى لَنْ تَفْهَمَهُ

كَمْ كَانَتْ تَرْسُمُهُ قَلَمًا

وَتُكَمِّمُ ضَاحِكَةً فَمَهُ

وَالكَاتِبُ فِيهِ يُمَازِحُهَا

هَلْ تَفْهَمُ يوْمًا عَالَمَهُ؟

لِلطِّفْلِ الكَاتِبِ مَوْهِبَةٌ

لَكِنَّ الوَاقِعَ آلَمَهُ

هُوَ يَكْتُبُ عَالَمَهُ أَدَبًا

هَلْ مِنْ أَحَدٍ كَيْ يفْهَمَهُ؟

مَشْرُوعُنَا

مَشْرُوعُنَا هَذَا: الطُّفُولَةُ أَوَّلاً!

فَلْنَبْنِ أَنْفُسَنَا وَمِنْهَا أَوَّلاً

لِلطِّفْلِ جُمْهُورِيَّةٌ وَرَئِيسُهَا..

هُوَ ذَاكَ مُنْتَخَبٌ هُنَا هُوَ أَوَّلاً

لاَ رَأْسَ إِلاَّ رَأْسُهُ سَتَعِي هُنَا

مَا يَنْبَغِي لِلطِّفْلِ.. هَذَا أَوَّلاً

أَمَّا الطُّفُولَةُ ثَانِيًا فَهْيَ اللِّقَاحُ..

لِمَنْ أَحَبَّ مَدَى الحَيَاة حَيَاتَهُ

هُوَ ذَلِكَ الطِّفْلُ الَّذِي سَنُحِبُّهُ

فَيُحِبَّ أَوَّلَ مَا يُحِبُّ وُجُودَنَا

هُوَ نَفْسُهُ الطِّفْلُ الَّذِي سَيُحِبُّنَا

فَيُحِبَّ حَتَّى لاَ يُلاَمَ جُدُودَنَا

الطِّفْلُ ذَاكَ نَرَاهُ وَهْوَ أَمَامَنَا

عَيْنًا تَرَى أَحْلاَمَنَا وَصُمُودَنَا

وَهْوَ الَّذِي سَنَرَاهُ يَسْتَبِقُ الأَذَى

لِيَرَى الحَصَادَ: اَمَانَهُ وَنَجَاتَهُ

ألبوم صور
ليوسف روزقة

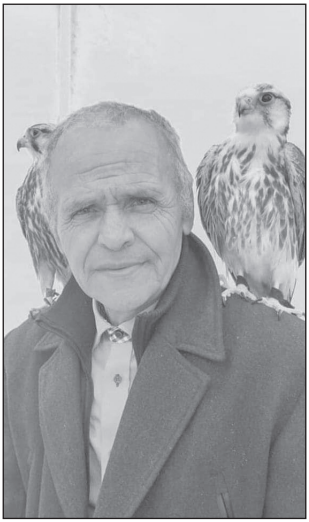

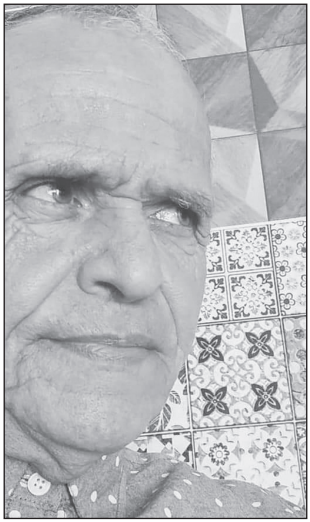

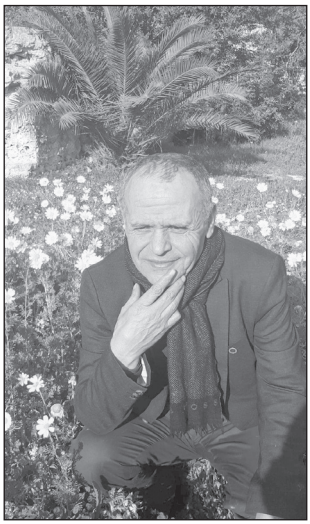

KYMCO

69
Queens
on the 1st floor
a la carte

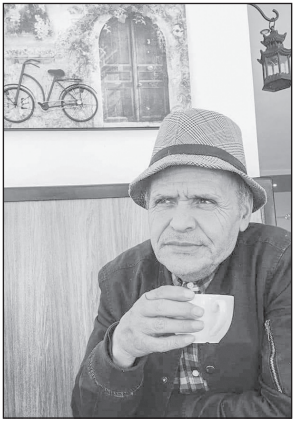

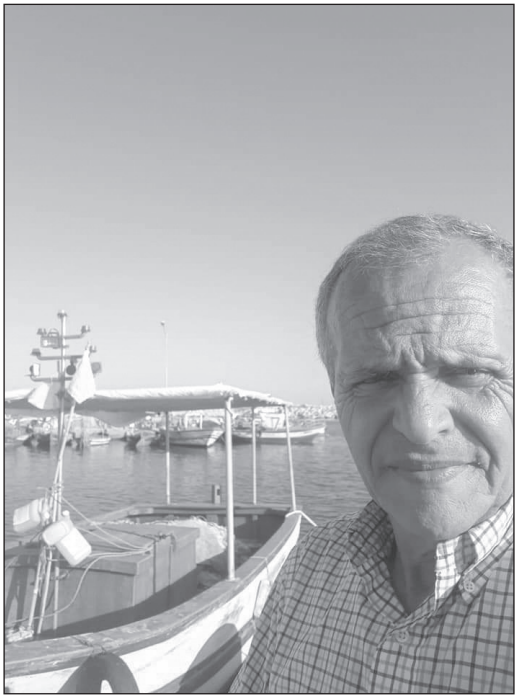

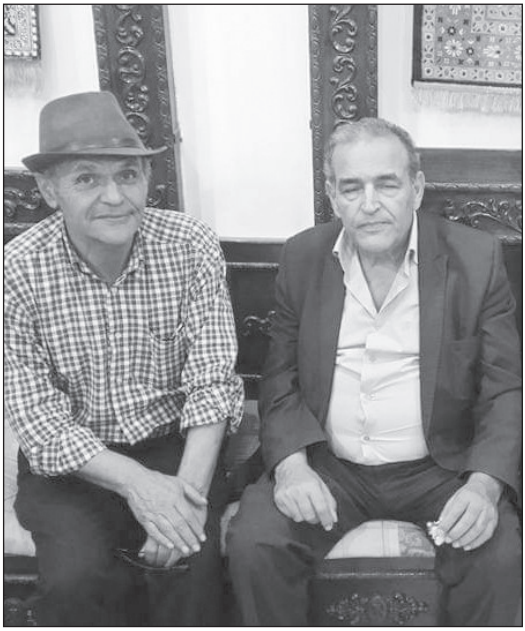

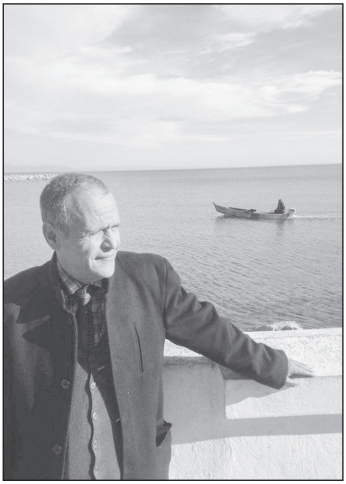

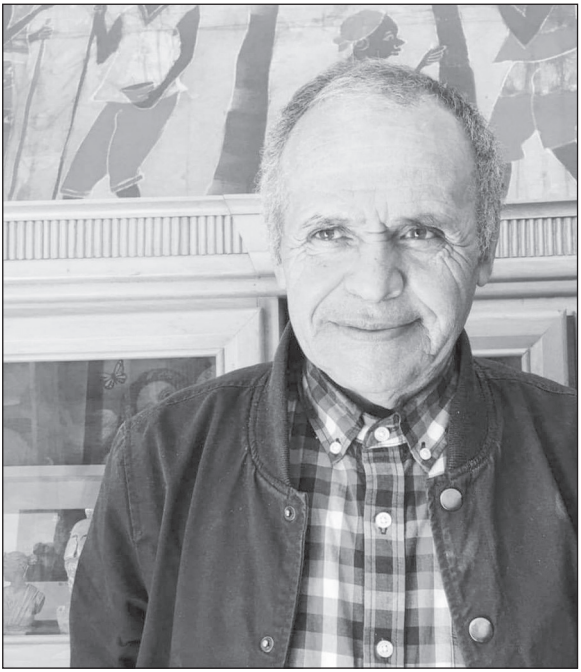

اللقاء الخاص مع الروائي
يوسف زرزوقة
عالمي الروائي: عين على الكون
27

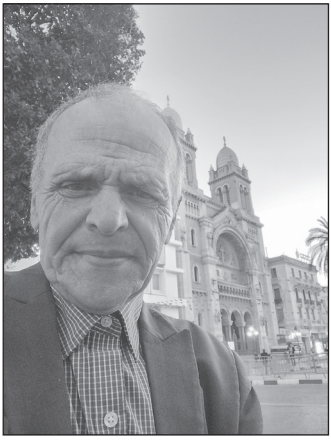

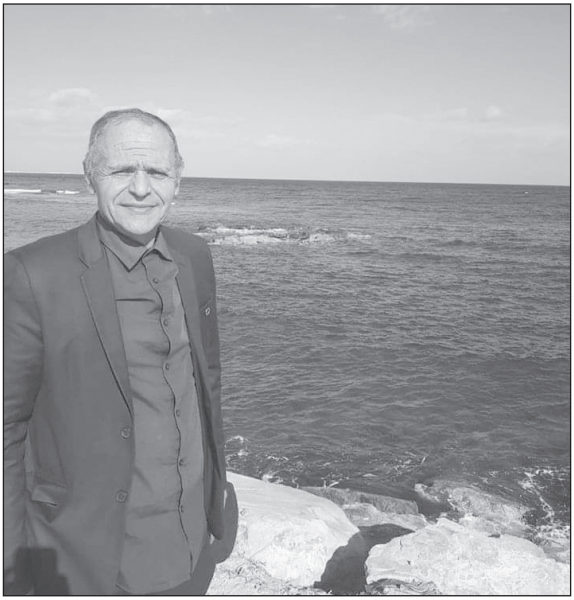

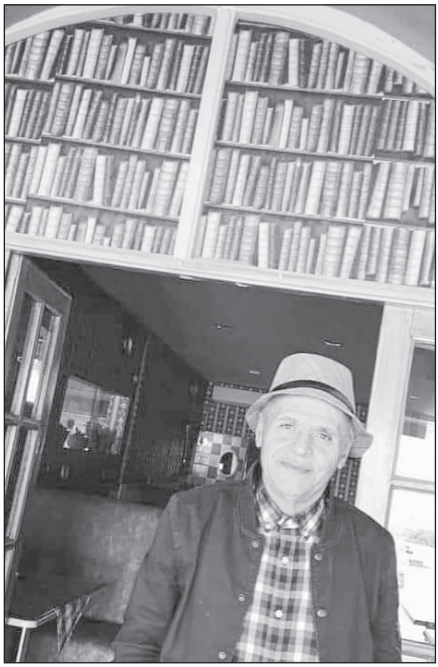

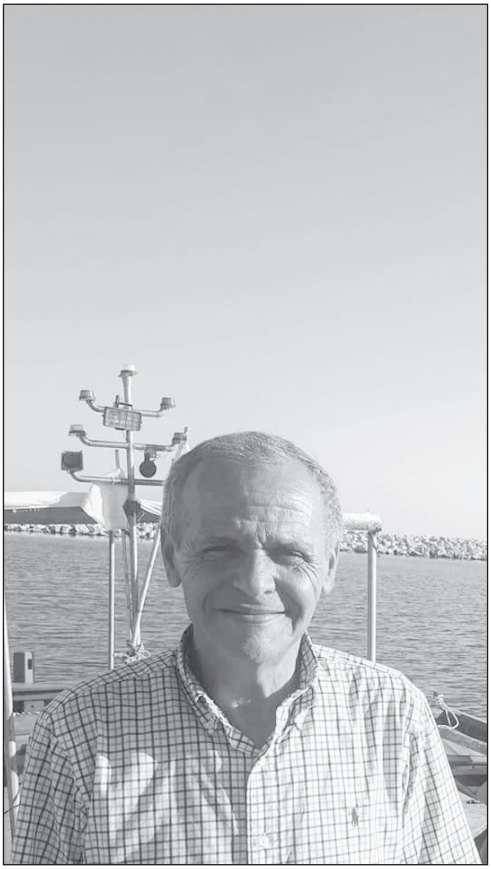

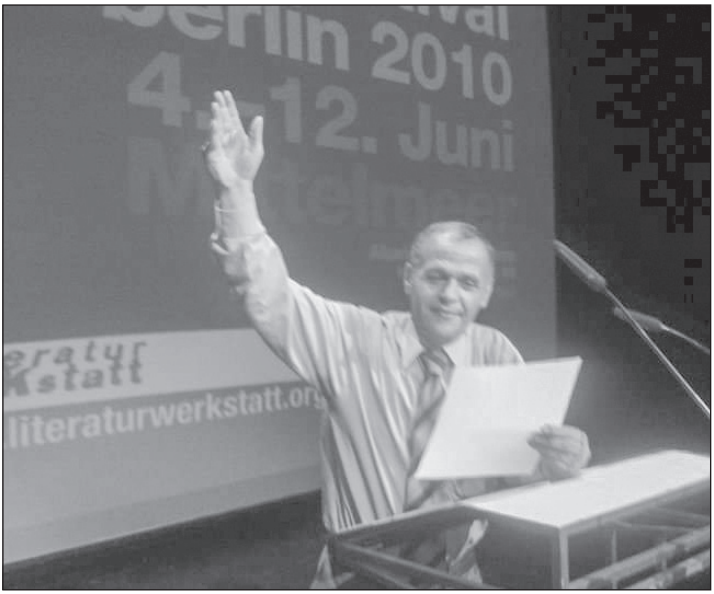
Berlin 2010
4.-12. Juni
literaturwerkstatt.org

الفهرس

يوسف روزقة بهلوان اللغة 3

محمد المي

يوسف رزوقة روح تتأرجح بين الحياة والموت 5

آمال مختار

عنوان الموضوع 13

البشير المشرقي

بانُوراما على تُخوم يُوسف رزوقة 25

سُوف عبيد

الكتابة للطفل عند يوسف رزوقة مشروع للنهل من شعرية

الذاكرة..... 39

هيام الفرشيشي

تأملات سريعة في قصيدة «جمهورية بلا رأس أو حديقة

أرسطو» ليوسف رزوقة أو تراجيديا الأبعاد المتعددة 49

خالد الماجري

«ريكامو» رواية يوسف رزوقة استفهام حول الزمكان والشخوص ورؤية للحوار بين أجناس الكتابة 57

حاتم النقاطي

ضمن التجربة الشعرية ليوسف رزوقة : الشاعر يعلن حالة الطوارئ...لحظة شعرية تُسائل تداعيات 11 سبتمبر

شمس الدين العوني

جدليّة الرّؤية والرّؤيا بين المتصوّر النقديّ والمتخيّل الشّعري *شعر يوسف رزوقة نموذجا* 77

الحبيب المبروك

مقتطفات من أعمال يوسف روزقة..... 89

ألبوم صور ليوسف رزوقة .....